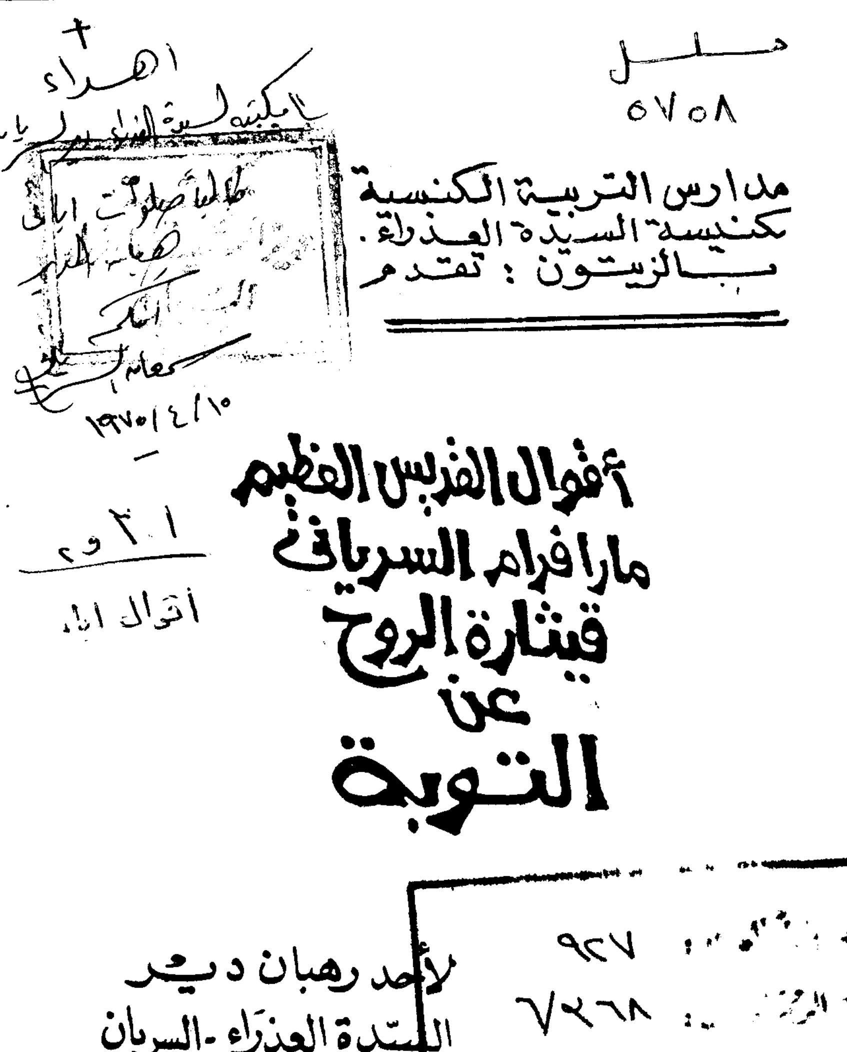

من أقوال الآباء
في
التوبة
لقيثارة الروح
مار أفرام السرياني

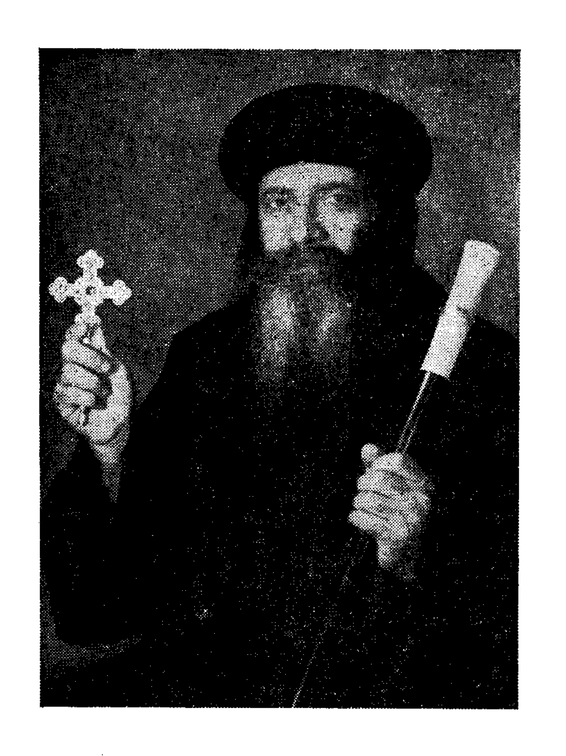


مدارس التربية الكنسية
كنيسة السيدة العذراء .
بالزيتون : تقدم

أقوال القديس العظيم مارافرام السرياني
قيثارة الروح
عن
التوبة

لأحد رهبان دير
السيّدة العذراء - السريان

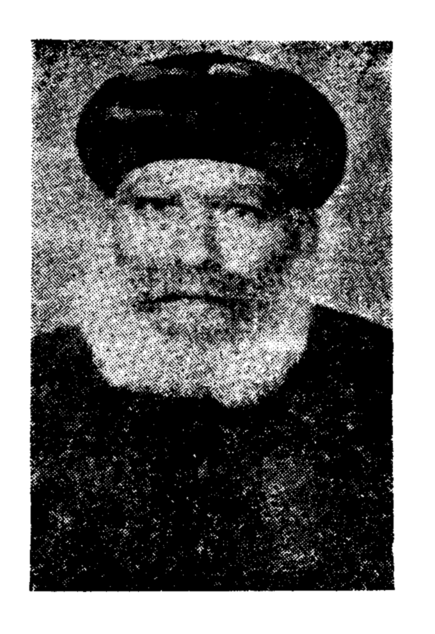
ش ١٦٩١ — ١٩٧٥ م



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية

وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الانبا ثاؤفيلس

أسقف دير السريان العامر



القديس مار أفرآم السريانى
عن صورة قديمة بمكتبة دير العذراء السريان

مقدمة

فلنشكر الرب إلهنا الصالح محب البشر إذ يدعونا هيكله المقدس (١ كو ٦ : ١٩) ، وأكثر من هذا أعطانا صفة البنوة له « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله . . » (١ يو ٣ : ١) ، وما زال لا يكف عن مناجاة عروسه فى كل حين قائلا « ها أنت جميلة يا حبيبتى ، ها أنت جميلة عيناك حمامتان (نش ٤ : ١) .

إن الخطية تشوه تلك النفس الجميلة الخالدة التى لها صورة الله ، لكن لكثرة تحننه بعد أن تمم خلاصنا بنفسه على الصليب المقدس أعطانا علاجاً شافياً لموت الخطى أنه « سر التوبة » الذى له الأهمية الكبرى لحياة كل مؤمن كما أنه يجب أن يسبق ممارسة أى سر من أسرار الكنيسة السبعة المقدسة « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) كما أكد السيد المسيح له المجد ضرورة ممارسته على وكلاء أسراره المقدسة إذ « قال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (يو ٢٠ : ٢٢ - ٢٣) ويصفها

الآباء بأنها معمودية ثانية ، وباب الرحمة ، وأم الحياة . . . إلخ

وأن أباؤنا القديسون تركوا لنا درراً ثمينة فى ذلك وهى نتيجة لخبراتهم الكثيرة التى قد وصلوا إليها بعد أن تركوا العالم وعاشوا حياة التوبة كما يجب لأجل خلاص نفوسهم .

وها نحن نقدم بعض من أقوال القديس العظيم مارأفرآم السريانى والملقب بقيثارةالروح (تنيح عام ٣٧٩ م وتحتفل كنيستنا بتذكار نياحته فى يوم ١٥ أبيب) ، يحدثنا مبكتاً وموبخاً ذاته إذ كانت الدموع لاتفارقه . ! ، لقد عاش فى توبة مستمرة . . .

أيضاً يحدثنا بإمعان عن توبة المرأة الخاطئة التى بلت قدمى المسيح بدموعها فى صورة مناقشة عجيبة ! . .

ليعطنا الرب دموع التوبة المستمرة على خطايانا كداود النبى والملك « تعبت من تنهدى ، أعوم كل ليلة سريرى بدموعى ، أذوب فراشى » (مز ٦ : ٦) ، قارعين صدرنا فى اتضاع وانسحاق تام كالعشار « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » (لو ١٨ : ١٣) .

ولنسرع إليه دون تأجيل كالإبن الضال مردداً « أقوم وأذهب إلى

أبى وأقول له أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً ، حتى يقبلنا الآب بفرح قائلا « إبنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد » (لو ١٥ : ١١ — ٣٢) .

بشفاعة سيدتنا والدة الإله العذراء القديسة مريم ، وجميع السمائيين وطلبات القديس العظيم مار أفرآم وجميع أبائنا القديسين .

وبصلوات أبينا الطوباى قداسة البابا شنودة الثالث وصلوات أبينا الطوباوى نيافة الانبا تاوفيلس أسقف دير السيدة العذراء (السريان)

وإنى أقدم الشكر الجزيل لكل من تعب معنا فى هذا الكتيب ليعطيهم الرب الأجر السمائى .

سامح ضعفى أيها الحبيب وأذكرنى فى صلواتك .

ولإلهنا كل مجد وإكرام إلى الأبد آمين ؟

أحد رهبان

دير السيدة العذراء - السريان

برية شيهيت المقدسة

٢١ طوبة ١٦٩١ ش ٢٩ يناير ١٩٧٥ م

تذكار نياحة السيدة العذراء مريم



يا أبى أخطأت إلى السماء
وقدامك ولست مستحقا
أن أدعى لك أبنا لو ١٥ : ٢١

الفصل الأول

اليقظة وعدم التأجيل

« أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له :
يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك .. »
(لو ١٥ : ١٨)



حتى متى أيها الحبيب والصديق تكمل كل حين ما يسر العدو، (١) وحتى متى تخدم الجسدانيات وتتعبد لها .

امسك بمشورتى التى تحييك وتطهر نفسك مع جسدك ، تقدم إلى المخلص الشافى كافة الذين يجثون إليه بتوبة حارة .

اهرب من الحية وفسادها لأنه من يصدم بالحجر مرتين فذاك أعمى ولا يبصر ما يجب أن يهرب منه . إن كان لك حرص فتزايد فى التوبة مستعطفاً الخالق متواضعاً ومكتئباً ، متنهداً ومتوجعاً . مصغياً إلى أواخر زكا العشار ، ومتى اللذين تبعا المسيح ، وكذا المرأة الزانية المتنعمة عندما مسحت قدمى المخلص بشعرها انتشلت من جب المآثم العميق . .

أبصر نينوى المدينة الجميلة الصاخبة بالخطايا والرذائل ،فوعد أن يقلبها ولما عاين هؤلاء المتنعمين أصبحوا فى المسح والرماد والصوم، والنوح والدموع متقشفين ، مرتعدين، وصاروا متغيرين ،متساويين فى التوبة: الأحرار منهم والعبيد ، التجار والفقراء ، الرؤساء والمرءوسين ، الذكور والإناث، الشيوخ والأطفال. لما رآهم كلهم متذللين تراءف عليهم

---

(١) عن المخطوطة : ٢٠٠ ميامر ـ دير السريان ـ ميمر ٢٤ بتصرف .

الرب وخلصهم ، وهكذا أسرعوا إلى الإغاثة فالرب فاتح للقارعين يعطى المحتاجين بل يفرح بهم .

إن سقطت تب ، ابتهل وتضرع ، واسجد وأطلب فتأخذ ، إسأل أن تخلص وإذا تقومت تقدم ، إذا برئت فاثبت ، إذا شفيت فابتعد عن المرض ، لا تضرم اللهيب الذى أطفأته ، لا تعبر بالحمأة وتقع فيها تلك التى غسلتها بالجهد ، فلا تماثل الخنازير الذين يمرحون بالحمأة ، ولا تشابه الكلاب التى تلحس قيئها .

فمن يضع يده على المحراث وينظر إلى خلف لن يجد الملك ، ومن اغتسل لايعود إلى الوسخ . فالمسيح واحد ، والإيمان واحد، والصليب واحد والقيامة واحدة فلا تصر عبداً بإرادتك للعبودية والمجد لربنا دائماً آمين .

إلى الآن كنت تعد نفسك بالتوبة وتقول سأتوب[٢] غداً فمن الآن عد الخطية أن تأتيك غداً ، وقل لها إنطلق اليوم . ادفع الخطية

---

(٢) من كتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٤٢٨ .

من يوم إلى يوم كما دفعت التوبة ، واطرد الخطية كما طردت التوبة بالأعذار إلى اليوم وكما كنت تؤخر عمل الصلاح كذلك افعل بالخطية حتى تجد الغلبة .

جاء فى كتاب بستان الرهبان أن شيخاً حدثته أفكاره قائلة له استرح اليوم وتب[٣] غداً فقال (لن يكون ذلك أبداً بل على أن أتوب اليوم ولتكن مشيئته الرب غداً) .

أيها الأخ[٤] اعمل فى حداثتك لكى لاتندم فى أواخرك[٥] ، لاتنافس الأشرار ولاتبارى الذين يعملون الإثم فإنهم كالحشيش يجفون سريعاً وكبقل الخضرة يذبلون قريباً . توكل على الرب واعمل صلاحاً .

تعالوا يا أحبائى ، هلموا يا أبائى وأخوتى . يارعية الآب المختارة ، ياجند المسيح الموسومين . تعالوا اسمعوا قولا يخلص نفوسكم . هلم نتجر مادام الموسم قائماً . تعالوا نجد الحياة الأبدية . هلم نتبع خلاصاً

---

(٣) عن كتاب بستان الرهبان طبعة ١٩٦٨ م ص ٣١٣ .
(٤) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر — دير السريان — ميمر ٤٢ قول ٦٩ .
(٥) يقول القديس مار أسحق « أصطلح أنت مع نفسك تصطلح معك السماء والأرض » بستان الرهبان ص ٣٠٦ .

لنفوسنا . املأوا أعينكم دموعاً فللوقت تنفتح أعين أذهانكم . تعالوا جميعاً أغنياء وفقراء ، رؤساء ومرءوسين ، شيوخا وشبابا ، بنين وبنات . . . كل من يريد أن ينجو من العذاب الدهرى ويرث الملك الأبدى . . . لنتضرع مع داود النبى قائلين : اكشف عن عينى فأتأمل عجائب من شريعتك (أنر عينى لئلا أنام إلى الوفاة) (مز ١٣ : ٣) ، ولنهتف كما هتف الأعمى « يا ابن الله ارحمنى » ، فان منعنا قوم وانتهرونا حتى نصمت فلنصرخ نحن أكثر ولا نضجر من الصراخ إلى أن يفتح أعيننا يسوع المعطى النور ، تقدموا إلى المسيح اقتربوا منه واستضيئوا فلا تخزى وجوهكم . . (١)

لنتب يا أخوتى مادام لنا وقت فقد سمعتم قول المسيح « إنه يصير فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب . » أيها الخاطىء لم تتوانى ؟ لم تيأس إن كان يصير فرح فى السماء إذا تبت فمن تخاف ؟ ! إن الملائكة يسرون وأنت تتوانى ! سيد الملائكة هو الكارز بالتوبة وأنت تهرب ؟ الثالوث الطاهر المسجود له يستدعيك وأنت تتنهد . !

---

(٦) بستان الروح جـ ١ القس شنودة السريانى (نيافة الأنبا بؤاس حاليا) ص ٥٠ وكتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٣١٨ .

صلاة

القديس مار أفرآم السريانى

السبح لتعطفك والشكر لصلاحك ، والسجود لتحننك[٧] والبركة لرأفتك لأنه لا يوجد رءوف سواك ولا رحيم مثلك محب البشر تهب لنا كل خير ، وتدبر أمورنا وتشفى جراحات نفوسنا ، وتتمهل علينا إذا خالفناك ، وتشاء خلاصنا كلنا . فمن ذا الذى لا يحبك أيها السيد ومن ذا الذى لا يسجد لك ويشكر صلاحك . ولكن الويل لى أنا المربوط بخطايا لاعدد لها لأن خطاياى أكثر من رمل البحر وقد انحنيت تحتها مثل أغلال الحديد وليس لى دالة واحدة فإلى من ألتجىء إلا اليك أيها المحب للبشر والمتحمل خطايانا اللهم ارحمنى كعظيم رحمتك . إياك خالفت واليك إلتجأت من أجل صفحك الكثير و[illegible]نوك الجزيل .

أتوسل إليك أن تعرض بوجهك عن آثامى لأن لك تسبح كافة القوات السمائية . لك الملك والعزة إلى الأبد آمين .

---

(٧) عن كتاب أمام عرش النعمة لصلوات الآباء القديسين ص ٧٤ .

الفصل الثانى

محاسبة النفس والإستعداد

« كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى إبن الإنسان »

(مت ٢٤ : ٤٤) .



أيها الأخ الحبيب ثابر على خلاصك[1] ، اجلس فى هدوء واجمع أفكارك وقل لذاتك أيها الإنسان لك هذا الزمان وأنت صانعاً الشهوات ؟ !

ماذا انتفعت ؟ ماذا ربحت ؟ هل زدت على قامتك ذراعاً واحداً . لقد صرت سمينا فما خزنت لذاتك شيئا آخر سوى طعام الدود ؟ إنك أشبعت ذاتك خيرات فهل كنزت لك كنزاً فى السموات ؟ وكيف ستفعل عند خروجك من العالم ؟ .

ويلك يانفسى إنك فى مثل هذه السيرة . . ها أخوتك قد تزينوا بالفضائل هؤلاء المتقون الله بالحقيقة ، وأنا ذهبت إلى الظلمة ، بالغداة أندم على الأعمال التى عملتها وفى الليلة المقبلة أكمل أشر منها ، الرب وهب لى حياة وصحة وبهما أغضب من الذى خلقنى .

يانفسى لماذا تتوانين ؟ لماذا تتهاونين ؟ . يانفسى اعرفى ضعفك وحتى متى تقاومى من خلقك ، وتخالفى وصاياه ؟

أيها العدو الخبيث قد جعلتنى عاراً للملائكة والناس ، مطيعا

---

(١) عن ميمر ٢٨ بتصرف ـ المخطوط ٢٠٠ ميامر ـ دير السريان .

مشورتك المنافقة إذ أوحيت لى قائلا اعمل شهوتك مرة واحدة ولا تصنعها بعد ، وها هى تلك الصغيرة قد صارت لى عظيمة ، وما يمكننى أن أقاتل شهواتك الخبيثة ذات الألوان الكثيرة . لأن الماء إذا وجد ثقباً صغيراً فباستمراره صنع منه هوة عظيمة . .

لقد أظلم ذهنى بالأفكار الدنسة فأتيت بى إلى حب الخطية . لمن أقول فيبكى على أنا الشقى إذ العدو أوقفنى مجرداً لكى لا أنظر إلى الاتكال على الله.[ولكننى لا أيأس من خلاصى إذ هو جزيل التحنن كثير الصلاح] .

وماذا أقول للعدو لأنه حل نسكى من أجل مرضى وجعلنى غريباً عن السهر فى الصلوات ، غرس فى محبة الفضة ، جفف دموعى ، غلظ قلبى ، فصلنى عن إطاعة المسيح ، صيرنى حسوداً ، الخشبة التى فى عينى لم يسمح لى أن أبصرها ، وقذى أخى يقدمه أمام عينى ، يشير على أن اكتم أفكار قلبى ، وإذا سقط أخى فى هفوة يجعلنى أهذ فيها [٢] .

---

(٢) يقول القديس مقاريوس . . « أحكم ياأخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك » . بستان الرهبان ص ٢٢

لقد علمنى العدو أن أكون متكبراً وغضوباً، وجعلنى شرهاً وسكيراً ومحباً للذة . . .

خسارات نفس جعلها عندى فوائد ، صيرنى متذمراً ، علمنى أن أكون منزهاً عن القراءة والترتيل ، أصلى ولا أعرف ما أتلو، يسبينى ولست أعلم مراراً كثيرة .

وهلى يانفسى منذ الآن إلى ذاتك فى اعتماد على من خلقك ، ولا تذكرى نعمة من سترك لئلا يبتعد عنك . يانفسى إهربى من ابليس فإنه قاتل الإنسان منذ القديم فإن اقتربت إليه لايشفق عليك من الهلاك . فالصق بالإله المتعطف على البشر ، استحى يانفسى من الآن واقبلى إلى طريق الخلاص .

+ ينبغى لنا أن نحزن لأن نسيج حياتنا يبلى [٣] كل يوم . الأيام تجرى لتطردنا من الدنيا ونحن لا نسرع إلى عمل الحسنات . وهذا هو الحزن الكبير أن أيامنا تجرى إلى الوراء والخطايا إلى الامام !

الحياة تنقضى والذنوب تكثر ، ونحن كمثل بيت كثير المصروفات

---

(٣) عن كتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٢٥ ٤ــ٤٢٧) ٣٩٣ والمخطوطة ٣١٨ ميامر ــ ديرالسريان .

وليس له من إيراد فهذا سريعاً يخرب ، الأيام والليالى دائبة تجرى فتنقضى من أعمارنا ، النهار يدفعنا الليل ، والليل يدفعنا للنهار ، ليس لنا اليوم الحياة التى كانت لنا أمس . اجعل اليوم يوم توبتك لئلا يأتيك الموت فى هذه الليلة الأمر الذى قد تهيئت أن تفعله ابدأ به الساعة. إن تحركت فيك فكرة صالحة لا ترقد حتى تبدأ فى عملها .

أيام حياتك ليست لك ، ولا تعرف كم عددها ! ولست تدرى متى يدركك الموت ، لست تدرى اليوم ماذا يأتيك به الليل المقبل فمن الآن اسرع قبل أن يسوقك . أجر لئلا يدركك ، اسرع قبل أن يحبك . .

اليوم هو لك أما الغد فلست تدرى لمن يكون ؟ ! انظر إلى النهار ما أسرع ذهابه فاحرص أن تذهب معه خطاياك . لا تغمض عينيك للرقاد حتى تفتح قلبك للصلاة .

بالعشاء ابتعد عن خطاياك وبالغداة اظهر صلاحك ، لا يكن قولك بعيداً عن عملك . قبل أن تقول تهيأ للعمل ، إن تحركت فيك فكرة صالحة فمن ليلتك ابدأ بعملها واغتنمها ،وإن تحركت فيك فكرة الحسنات فمع طلوع الشمس ابدأ بعمل الصلاح وابعد عمل الشر ،

لاتتعب فى شىء ليس هو لك ، وتضيع شبابك باطلا ، لايكن قلبك منشغلا عما يغنى، عازفاً عن العمل الصالح ، الحياة سريعا تذهب والموت سريعاً يجىء . الزمان سريع الذهاب وهو متعجل أن يجوز ماخلا يوم توبتك فلا يريد أن يأتى ؟ .

فى شبابك كنت تقول أتوب ! إذا ما كبرت مضى الشباب وجاء الكبر ، لم تتب، أفنيت شبابك بأوجاع الشهوات والذنوب ، وعندما كبرت لاترغب أن تتوب . . .

من يوم إلى يوم تطرد التوبة وأظنها قد هربت منك . فى شبابك قلت أبقى حتى أصنع هواى وأتوب عنها ، منها قد كبرت اطلب التوبة قبل أن يطلبك الموت فإن بعد الموت ليست هناك توبة ، الأيام التى مضت تخبرك عن الأيام التى تأتى. الأولى لم تختبىء والأخرى لاتبقى . قد كنت بعيداً عن يومك، وفجأة أدركك، وها هو مسرع إلى الذهاب كما ذهبت الأيام السابقة . انظر إلى نفسك قبل أن يجوز يومك وأذكر أن شبابك لن يدوم ، تعبر مثل الظلام ومعها تنقضى حياتك .

+ كما أن الصعوبة فى بناء بيت ما ليست فى وضع الأساس بل فى الارتقاء بالبناء إلى العلو اللازم . بمقدار ما يزداد البناء ويرتفع يزداد

التعب والكلفة هكذا حال البناء الروحى فإن الصعوبة الأشد ليست فى وضع الأساس بل فى البلوغ إلى كماله الأقصى ! .

+ « لاشىء أعلى قدراً من خلاص النفس[٤] فمن أجلها يا اخوتى ينبغى أن نهتم ونستعد كل يوم ولا نفنى زماننا فى الاهتمام بالجسد ، فاذا جاع الجسد وطلب طعاما تذكر أنت أن النفس أيضاً تطلب حاجتها ، وكما أن الجسد إن لم يتناول خبزاً لا يستطيع أن يعيش كذلك النفس إن لم تتغذى بالحكمة الروحانية فهى مائتة ...[٥]

فلنتعب زمانا يسيرا ولنملك إلى الأبد . . ليكن المزمور كل وقت فى فمك مادام لنا أوان التوبة فلنداوه بالعبرات أى بالدموع لأن وقت التوبة قليل وملك السموات لانهاية له . نحن نطوب القديسين ونتوق إلى أكاليلهم . هل نظنون أنهم كللوا بغير أتعاب وأحزان ؟ .

أية راحة كانت القديسين فى هذا العالم ؟ بعضهم ضربت أعناقهم ،

---

(٤) عن المخطوطه ٣١٨ ميامر — دير السريان . بتصرف .

(٥) الذى يخطىء يريد أن ينهى علاقته . مع الله . . فالأبن الضال لما أخطىء ذهب بعيداً عن أبيه ... فاسأل نفسك هل أستطيع أن استغنى عن الله ؟ . عن محاضرات الأبنا شنودة (قداسة البابا شنودة حالياً) .

وآخرون ذاقوا الاستهزاء ، دفعوا للسياط والقيود والحبس ، رجموا ، نشروا وماتوا بحد السيف . طافوا بجلود غنم وبجلود معزى معوزين مذلين . تائهين فى البرارى والجبال والمغائر وشقوق الأرض . . وفى سرور احتملوا كل هذه وغيرها إذ كانوا ينظرون إلى الخيرات المحفوظة فى السموات التى لم ترها عين ولم تسمع بها إذن ولم تخطر على قلب بشر التى أعدها الله للذين يحبونه . . .

الويل للمتوانى لأنه سيطلب الزمان الذى أضاعه عبثاً ولا يجده . . ولنطلب يا اخوتى الملك الذى لا نهاية له ولا انقضاء ، لنطلب ذلك الفرح الدائم فنكون مع المسيح الذى له المجد الدائم الآن وإلى الأبد آمين .

+ اطلب اليكم يا اخوتى أن نسارع [٦] منذ الآن لنوجد عنده غير دنسين . . إذا جاءتك شهوة أو فكر ردىء فاستل سيف التفكر فى مخافة الله ليقطع قوة العدو ، وليكن لك عوض البوق الكتب المقدسة إذ كما أن صوت البوق يجمع الجند هكذا الكتب الإلهية تهتف فتجمع

---

(٦) عن ميمر ١٨ المخطوطة ٢٠٠ ميامر — ديرالسريان .

أفـكارنا إلى مخافة الله . . . وأيضا تنهضك بنشاط وتشجعك على كافة الآلام . . لذا يا أخى اغصب ذاتك بكل طاقتك أن تقرأها دائما . إذ بسوء حيله أن صارع إنسان الفـكر ولم يستطع أن يقهره حينئذ يأتى به إلى الأحزان ويظلم عقله وذهنه . . فإن لم يوجد الإنسان مستيقظا يستطيع أن يبتلعه حياً إلى الهاوية ، فإن لم يمـكنه بهذه الحيلة يمنحه رفعة وطغيانا التى هى أشر من كافة الآلام ، وهذه تأتى بالعقل إلى عمق اللذات فلا يعرف ضعف طبيعته ، ولن يتذكر يوم وفاته . انه يمشى فى الطريق الواسعة تلك المؤدية إلى الهلاك . .

لذلك يا أخى تيقظ واحرص دائما أن تلتصق بقراءة الـكتب الإلهية لتعلم كيف تهرب من فخاخ العدو وتدرك الحياة الأبدية . ثابر على القراءات والصلوات ليستضىء ذهنك ويصير إلى التمام .

يوجد قوم يفخرون بمخاطبة الرؤساء والملوك فلتفخر أنت أمام الملائـكة إذ تخاطب الله بالروح القدس ، وبقدرما تخاطب الله بقدر ما يتقدس جسدك وروحك .

إذا كانت يداك تعمل عملا ما فصلى بذهنك فإن حنة النبية كانت منسكبة فى صلاة قلبية عميقة جداً !

إذا كنت لا تعرف قراءة الكتب الإلهية فاذهب إلى من هو عالم بما فيها واستمع إليه فمغبوط هم الذين يفحصون عن شهاداته ويطلبونه من كل قلوبهم . احذر الضجر والقراءة بلا اهتمام لأجل أن يشغلك بأمر آخر بل صر كالإيل الذى يشتاق أن يأتى إلى عين الماء أى الكتب الإلهية لتشرب منها . لاتهملها بل رددها واكتبها فى قلبك واحفظها فى ذهنك إذ كنت أتلو فى حقوقك وأيضا « بما يقوم الشاب طريقه ؟ بحفظه أقوالك . بكل قلبى طلبتك فلا تبعدنى عن وصاياك . خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطىء إليك » [٧]

من ذا الذى يتذكر أقوال الرب ولا يقوم طريقه أن مثل هذا يدعو ذاته مسيحياً لكن يجحد أعمال المسيحى لذا يأمر أن ينزع منه عمل الروح القدس الذى أخذه فيصير بمنزلة إناء نبيذ يرشح كثيرا فيضيع ما فيه والذين يبصرونه يظنون أنه ممتلىء لكن حقيقته فارغ . . هكذا ذلك الإنسان عندما تنكشف حقيقته أمام الجميع يوم الدينونة مثل هؤلاء يقولون أليس باسمك يارب تنبأنا أليس باسمك صنعنا قوات ؟ . . فيقول لهم . . إنى لم أعرفكم [٨] .

(٧) (مزمور ١١٩ : ٩ — ١١) .
(٨) (مت ٧ : ٢٢ — ٢٣) .

تذكر هذه الأقوال التى سمعتها وقوم طريقك ولاتدع النسيان يخدرها وينزعها من قلبك . . . لاتدع الخبيث يأكل زرع ابن الله . . ولتخبىء التعليم الصحيح فى قلبك فيثمر بالتقوى .

جاوز القراءة مرتين وثلاثة ومراراً كثيرة وأطلب أولا إلى الله قائلا يارب يسوع المسيح افتح ذهنى وقلبى لأسمع وأفهم وأصنع مشيئتك . اكشف عن عينى فأتامل عجائب من شريعتك .. أطلب إليك ياأخى لاتزعم إنك حكيم وتفهم ما هو مكتوب ... فإن كلمات الله كالفضة المحماه سبعة أضعاف وليس فيها عيب بل هى مستقيمة للذين يفهمون .

كما أن السيف يقطع عصب الفرس ويلق راكبه هكذا(٩) العزم الردىء يقطع قوى النفس ويدفعها إلى الحزن .

من هو الذى يريد أن يمضى إلى مدينة مسافتها خمسون غلوةفيمضى تسعة وأربعين غلوة وتنقصه غلوة واحدة . هل يقول أنه وصلها ؟ لأنه قد خرج من عند أهله وموطنه ؟ ! .

---

(٩) عن «يمر ٣٢ المخطوطة ٢٠٠ ميامر»

يوجد من[10] يترك موضعه لأجل الفضيلة ، وآخر لالتماس البطالة وعدم الخضوع .

يوجد من يفحص عن الحكمة ، وآخر يبغى كثيراً السبح الباطل .

يوجد من يجاهد من أجل محبة المسيح ، وآخر يجتهد من أجل المجد الفانى .

يوجد من يخضع ويطيع من أجل وصية المسيح ، وآخر لأجل فائدة دنيئة .

يوجد من يمدح قريبه لأجل وصية المسيح ، وآخر لأجل إسترضاء الناس .

يوجد من يدفع ذاته لأجل وصية المسيح ، وآخر يثلب قريبه لأجل نهم البطن .

يوجد من يعمل كثيراً من أجل الصدقة ، وآخر من أجل محبة الفضة .

يوجد من يعمل فى غير وقت العمل ، وفى وقت العمل لا يعمل .

يوجد من يسبح ويعلى صوته ، وفى وقت التسبيح يسكت أو يكلم قريبه فى الباطل .

---

(١٠) عن ميمر ٦ بتصرف (المخطوطة السابق ذكرها) .

يوجد من يسهر باطلا ، وفى وقت السهر ينام[11] .

إن قلوب الناس مكشوفة لدى الله ، بدء السيرة الصالحة الدموع فى الصلاة وإستماع الكتب الإلهية ، ربوات كتب فى أذن الجاهل تحسب لاشىء ومن هو الجاهل إلا المتهاون بمخافة الله ، فإن قلب الحكيم يقبل الوصايا بأوفر حكمة .

لاتقاوم الشر بالشر (مت ٥ : ٣٩) ، لاتمنع شيئاً عن أحد لئلا تلام[12] إذا هلك ، لا تتلون فى احترامك للناس حسب المقتنيات ، لتكن كل الأشياء عندك كأنها غير موجودة والله وحده هو الموجود ، إذا سألت قريبك ولم يعطك ماتريد فأحرص لئلا تخرج كلمة غضب من فمك تقطر مرارة ، لاتقاوم الدوافع الصالحة لأن تغيرات ميول النفس كثيرة ، أبعد الأسى عن جسدك والحزن عن فكرك . . (جا ١١ : ١٠) إلا ما يتعلق بخطاياك وهذا كفيل أن يجعلك فى حزن مستمر . لا تكف عن العمل حتى ولو كنت غنياً لأن الكسول يكثر ذنوبه بكسله .

---

(١١) « لنحاسب أنفسنا فى ضوء مقاييس الكمال المطلوب وأفضل الناس هو الذى يحاسب نفسه على العمل قبل عمله أيجوزلى أن أفعل هذا أم غيرة . . . . الخ الخ » عن محاضره لقداسة البابا شنودة الثالث .

(١٢) مترجم عن: The Writings of Niciene, V. 13 Page 334

صلاة القديس[1]

أقبل يارب توسل من عاهدك أن يرضيك فكذب ، اسألك يارب نجني من الخطايا المحيطة بي فأصير معافى وأنهض من سرير الخطية المفسدة فإني منذ طفوليتي صرت إناء للإثم اسمع بالدينونة ولكنني أتهاون مع أن لي خطايا وجرائم تفوق العدد . أتذمر على الآخرين إذا لم يبتعدوا عن الأشياء غير النافعة ولكني أنا اكملها مضاعفة . ويلي في أي خزي قد حصلت ، ويلي فإن باطني ليس كظاهري فإن لم تدركني رأفتك سريعاً فليس لي من أعمالي رجاء للخلاص ، اتكلم عن الطهارة وفكري في الفجور ، أقول عن عدم الخطية وفي يوجد الميل نحوها ليلا ونهاراً فبأي وجه أتقدم إلى الإله العارف مكنونات قلبي ، ماذا أنتظر أنا

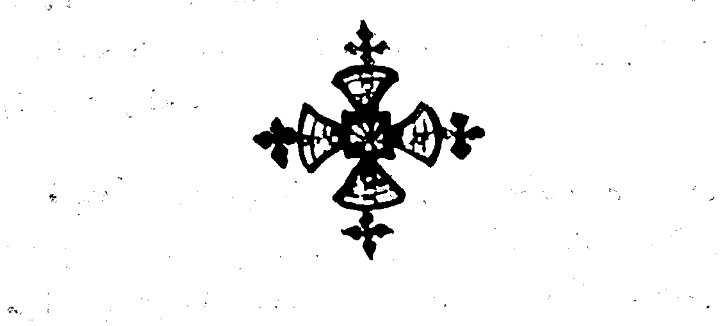
---

(١) عن كتاب أمام عرش النعمة (ص ٧٥، ٧٦)

ومثل هذه الذنوب الكثيرة موضوعة على . أنا أثق برأفتك يارب أن تعتق قلبي من الخطية فقد عمى قلبي وأظلم ذهنى فلهذا يارب أطلب إليك أن لاتطرحنى مع القائلين يارب يارب ولا يعملون مشيئتك ، بشفاعة الذين أرضوك لأنك أنت العارف جراحات نفسى . اشفنى يارب فأبرأ ، وأعطنى أنا العطشان من ينبوع الحياة الذى معك . أنر قلبى يا من يضىء لكل إنسان آت إلى العالم ، وأرشدنى أنا الضال إلى طريق الحياة قبل أن أجتذب مع فاعلى الاثم ، لأن الخطية لم تترك فى عضواً واحداً صحيحاً أو حاسة واحدة لم تفسدها . والموت على الابواب ولست أفكر فيه .

فاليك أطلب ياطبيب الأنفس أنظر إلىّ أنا السقيم ، أيها الراعى أنظر إلى أنا الضال ، أيها الملك أنظر إلىّ أنا الأسير لأنال الخلاص من الخطايا المحيطة بى . وهبنى عوض الجهالة معرفة لأنه لا يصعب عليك شىء لانك فتحت فى البحر مسلكا وأجريت الماء من الصخرة الصماء . خلصت الواقع بين اللصوص فخلصنى أنا الواقع فى الخطايا فليس لى دالة لديك يافاحص القلوب والكلى ، ولا يستطيع أحد أن يشفى أوجاع نفسى إلا أنت العالم أعماق قلبي ، فلذلك أقرع الآن لتفتح لى . . . جردنى يارب من كل عمل خبيث قبل أن يدركنى الموت حتى

أجد نعمة أمامك فى ساعة الوفاة ، وأكون أهلا لملك سمواتك لكى إذا حصلت على السرور الذى لا ينطق به أقول : المجد لمن خلص نفساً مغمومة من فم إبليس وجعلها فى جنة النعيم برأفته ورحمته إلى الأبد آمين .

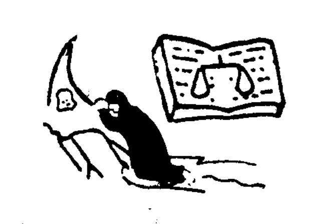


الفصل الثالث

تذكر الموت والدينونة

« وانفتح سفر آخر هو سفر الحيوة، ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم »

(رؤ ٢٠ : ١٢)



هنا يستجيب لنا ويغفر ويمحو آثامنا . هنا التعزية وهناك[1] الدينونة هنا التأنى وهناك الشدة ، هنا الراحة وهناك الضيق ، هنا إمتلاك السلطة على الذات وهناك مجلس القضاء ، هنا التمتع وهناك العذاب ، هنا الضحك والتهاون وهناك النار الأبدية . هنا التزين وهناك الشقاء ، هنا التصلف وهناك التذلل وصرير الأسنان ، هنا الخدور المذهبة وهناك الظلمة المدلهمة .

وإذا عرفنا هذا أيها الأحباء فلم نتوانى فى خلاصنا ، ولم تحل لنا محبة الأشياء الأرضية ولم نتهاون فى دموعنا والوقت ملك لنا ولكنه قليـــل .

أنه بالتوبة يغفر الله لنا سائر خطايانا . ابك ههنا قليلا لئلا تبكى هناك إلى أبد الدهور فى الظلمه الخارجية ، صرههنا مستيقظاً لئلا تلقى هناك فى النار التى لا تطفأ ، ابك ههنا و تضرع عن خطاياك فتصير لك التوبة خالصة .

لقد خاطبتكم بهذا ولست فى حياتى أسلك بالطهارة لكننى بألم وحزن

---

(١) ميمر «١٠» عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر دير السريان بتصرف .

ناظراً بذهنى ما هو عتيد لنا وأنا فى النوم والتوانى . اننى يا أخوتى نجس ومنافق بأفكارى وأعمالى ، غير عارف فى ذاتى شيئاً صالحاً البتة لكننى الآن فى استرخاء وخاطىء بنيتى وقواى ، هذه الأقوال أقولها من أجل محبتى لكم لأن الحزن يحوط بقلبى دائماً من أجل دينونة الله الرهيبة لأننا متهاونون دائماً ونحسب أننا سنعيش فى هذا العالم الباطل إلى الأبد لكن هذا الدهر يعبر وكل مافيه ! ونحن يا أحبائى سنطالب بالجواب عن هذه الأمور لأننا نعرف ماهو نفيس لأنفسنا ونفضل ما هو ردىء ، بل ولستهين بمحبة المسيح الإله وملكه ونكرم ما هو أرضى . إن الذهب والفضة لاتنقذنا من النار المرهبه ، والثياب والتنعم يكون لدينونتنا ، الأخ لن يفدى أخاه ، والأب لن يفدى أبنه لكن كل أحد يقف فى موضعه : فى الحياة أم فى النار .

كثير من الصديقين زهدوا هذا العالم بإختيارهم إذ تاقوا إلى المسيح واكرموه كثيراً فلذلك هم فى كل حين مبتهجون ومضيئون بالمسيح ، والثالوث القدوس يبتهج بهم ورؤساء الملائكة والناس فى كل وقت يطوبونهم فوهب لهم الإله القدوس ملكه وسيعطيهم مجداً أعظم ! إذ يبصرونه مع الملائكة والقديسين كل حين بسرور .

لقد خلقك الله مفهم وتمييز فلماذا تماثل البهائم الفاقدة النطق . ؟ !

عد إلى نفسك أيها الانسان ، وانظر انه من أجلك نزل الإله من السماء ليرفعك من الأرضيات إلى السمائيات ، قد دعيت إلى الختن السمائى فلم تتهاون ؟ قل لى كيف يملكنك أن تذهب إلى العرس وليس لك حلة العرس ؟ وغير ممسك مصباحاً وان دخلت بتهاون سيقول الملك لغلمانه أوثقوه من يديه ورجليه وأطرحوه فى اتون النار حيث العذاب الأبدى . . إذ سبق ان جئت ودعوت الجميع إلى عرسى وقد أحتقر هذا دعوتى ، واستهان بملكتى ولم يعد لباس العرس . . .

ألا ترهب أيها الانسان هذا ؟ . . وأما علمت أن كافة البرايا ستمثل أمامه حين مجىء ذلك الملك السماوى . . . قوموا وأبصروا الرب الذى يشبع النفوس والذى أحببتموه وتألمتم من أجله ! تعالوا وأفرحوا معه حيث لا ينزع أحد فرحكم ، هلموا فتمتعوا بالخيرات التى لم تبصرها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على بال إنسان ما أعده الله « للذين يحبونه »[٢] .

فمن يعطى لرأسى مياهاً كثيرة ولعينى عيناً نابعة دائماً دموعاً مادام لى وقت تنفع فيه العبرات فأبكى على نفسى النهار والليل . . !

---

(٢) (١ كو ٢ : ٩) :

أتخذ فى كل وقت فى عقلك خشية الله متذكراً اليوم الأخير[٣] المخوف حين تضطرم السموات وتنحل وتحترق الأرض وكافة مابها .

تتساقط النجوم ، والشمس والقمر لايعطى ضوءه . . . حينئذ يبصرون ابن الانسان آتياً فى سحابة بقوة ومجد كثير[٤] . . . تصير الزلازل والبروق . . التى لم تصر قبلا مثلها . . حتى أن قوى السموات يشملهم الرعب والرعدة . . فكيف سبيلنا أن نكون إذا يا أخوتى وأيه رعب يكون لنا ؟ .

تأمل بنى إسرائيل فى البرية إنهم لم يستطعوا أن يحتملوا الضباب الشديد وصوت المتكلم فى وسط النار . . مع أنه لم يخاطبهم بسخط . فاسمع يا أخى ان كانوا لم يحتملوا هذا حين لم تلتهب السموات ولم تنحل الأرض وتحترق عناصرها ولم تضرب الأبواق فتنبه الراقدين ولم يصر شىء من الخوف العتيد أن يكون . . فماذا نصنع عندما يجىء برعدة ويجلس بمجد على عرشه ويستدعى جميع الأرض من مشارق الشمس إلى مغاربها ليجازى كل واحد عن أعماله ؟ .

---

(٣) عن ميمر « ١٨ » بتصرف عن المخطوطة السابق ذكرها .
(٤) (لو ٢١ : ٢٥ – ٢٧) .

ويلى ثم ويلى كيف سبيلنا أن ندخل عراة ونمثل أمام هذا الموقف الرهيب ؟ .

أين حينئذ ذلك الجمال الزائف وغير النافع ؟ أين تلذذ الناس بالخطايا ، أين الدالة الفاقدة الحياء ؟ أين التزين بالثياب ؟ أين لذه الخطية النجسة ؟ أين الذين كانوا يشربون الخمر على الأغانى ولم يعاينوا أعمال الرب ؟ . . .

أين العائشون بالتوانى والنفاق ؟ أين التنعم والتلذذ . ؟ كل تلك عبرت وأنحلت . أين حينئذ محبة الفضة وأين حب الاقتناء ؟ أين حينئذ الكبرياء والغطرسة الرافضة للجميع والتى تحسب ذاتها وحدها أنها شيء . !

أين وقتئذ المجد الباطل ، أين التمرد ؟ أين الملك ؟ أين الرئيس ؟ أين المدبر ؟ أين السلطان ؟ أين المتنعمون والمتهاونون ؟ . . أنه هناك يشملهم الفزع المرعب .

أين حينئذ حكمة الحكماء الباطلة ؟ . . ويلى ثم ويلى أين الحكيم أين الكاتب أين مباحث هذا الدهر .[٥] .

---

(٥) (١ كو ١ : ٢٠) .

يا أخى ردد الفكر كيف سبيلنا أن نكون حينئذ عندما نطالب أن نؤدى جواباً عن أعمالنا واحدة فواحدة كبيرة أم صغيرة . . أمام القضاء العادل ! كيف يكون حينئذ الفرح الذى لايوصف للذين يقول لهم الملك « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » حينئذ تأخذ ملكا وتاجاً حسنا بهيا من الرب وتملك مع المسيح بل وترث الخيرات التى أعدها للذين يحبونه وتكون هناك بلاهم ولا حزن . . !

تفكر يا أخى فيما هو ملك السموات مع المسيح فيكون لك نوراً أبدياً حيث لا تكون شمس ولاقمر . ! فأنظر أى مجد قد أعطى للذين يتقونه ويحفظون وصاياه . ؟ ! ثم تفكر فى هلاك الخطاة إذا مثلوا أمام القاضى العادل حيث لا يكون لهم عذر . أى خجل يشملهم عندما يفرزوا عن يساره وبغضب يقول لهم « أنصرفوا عنى إلى النار الأبدية المعدة لأبليس وملائكته(٦) .

ويلى ويلى أى نوح يكون لهم ليعذبوا إلى الدهر الذى لانهاية له . ويلى كيف يكون بكاؤهم وصرير أسنانهم ؟ ويلى كيف هى نار

(٦) (مت ٢٥ : ٣١ـ٤٦) .

جهنم ؟ كيف الدود الذى لا ينام والنفاث بالسم ؟ ويلى ويلى أية شدة هى تلك الظلمه الخارجية . . . إنهم يصرخون وليس من يخلصهم ولا من يستجيب لهم . حينئذ يصرخون : باطلة هى كل أمور العالم !

أين حينئذ اللذة الكاذبة للخطية إذ لا توجد لذة إلا فى مخافة الرب ومحبته المحبة الحقيقية التى تملأ النفوس وتشبعها كأنها من شحم ودسم ! انهم يقولون معترفين فى ذاك الوقت أننا سمعنا بهذا ولم نرجع عن أعمالنا الرديئه ولا ينتفعوا شيئاً بقولهم هذا . . .

ويلى ويلى أنا المقبوض بخطايا أكثر من رمال البحار وقد أنحنيت تحتها بأغلال من حديد كثيرة وليست لى دالة أن أبصر واتفرس فى علو السماء إلى من التجىء إلا إليك أيها المحب الإنسان والمحتمل نقائصه ، اللهم أرحمنى[7] كعظيم رحمتك ومثل كثرة رأفاتك أمح اثامى فإن خطيتى أمامى فى كل حين إذ لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت ، ولكثرة تعطفك أعرض عن خطاياى من أجل أسمك القدوس ، ليس لى عملا صالحاً لكننى أطرح ذاتى أمام رأفاتك لتعطى

---

(٧) (مزمور ٥١) « مزمور التوبة والأنسحاق » .

قلباً نقياً فأتعبد لك منذ الآن وكافة أيام حياتى إذ تسبحك كافة القوات السمائية ! .

أيها الأخوة تعالوا كلكم واسمعونى أنا الحقير افرآم[٨] فنجلس فكرنا قاضياً ليتأمل قلبنا ، إن كنا سالكين كما تقول الكتب الإلهية أم نجحد الروح القدس الذى به ختمنا . فإن شاهد أحدنا فى ذاته شيئاً من النقص فليحرص أن ينمو بتواضع النعمة التى أخذها من ذلك المحب للناس ! ، وان كنا ملومين بالخطايا فلم نضجع أيها الاخوة التائبين إلى المسيح لأنه هوذا أتى اليوم المرهوب الذى فيه تظلم الشمس وتتساقط النجوم وتنطوى السماء كالدرج ، ويضرب البوق العظيم بصوت مرعب، فيوقظ الموتى جميعهم وينهدم الجحيم ويجىء المسيح على السحب مع ملائكته القديسين ليدين الأحياء والأموات ويجازى كل واحد كأعماله .

بالحقيقة أنه لمرهوب جداً ذلك المجىء لأنه عجيب يا أحبائى أن ننصر السماء مفتوحة والأرض متغيرة والموتى قيام . . فالأرض تسلم جميع ما فيها وكذا ما أفترسته الوحوش أو ما أكلته الطيور . . . إذ

(٨) عن ميمر ٣٥ بتصرف .

الكل يأخذ جسداً آخر وحسب أعماله فأجساد القديسين تلمع أكثر من الشمس أضعاف أما الخطاة فتوجد أجسادهم مظلمة وموعبة نتنا ، ويصير فحص أعمالنا بشدة الكلام أم الأفكار . . النخ هذه تصبح ظاهرة أمامه يبصرها جميعها . فلنجاهد يا أخوتى أن نفلت من التعيير والخزى المرهوب الذى لكافة الخطاة وأن نصير مشاركين تلك الخيرات التى أعدها الله للذين يحبونه . . تلك التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها .

تأتى الملائكة فتخطف كافة القديسين بمجد لإستقبال المسيح فلنحرص يا أخوتى أن نكون مستحقين لذلك الاختطاف .

« لانضجع أيها الاخوة المحبون للمسيح مادام لنا وقت » بل لنحرص أن تغلب آلام الجسد والنفس .

هلموا يا أخوتى وأسمعوا مشورتى أنا افرآم(٩) الخاطىء والفاقد الأدب فها قد أقترب يا أحبائى ذلك اليوم المخوف ونحن فى التوانى والتنزه غير مؤثرين أن نتفطن فى عبور هذا الزمان اليسير ونحرص أن يغفر لنا الله . فها الأيام والشهور والسنين تعبر كالمنام . . ومثل ظلال

---

(٩) عن ميمر ١٧ .

المساء ليوافى بجىء المسيح المرهوب العظيم لأنه بالحقيقة مرهوب للذين لم يؤثروا أن يعملوا مشيئة الله ويخلصون .

فأتضرع إليكم يا أخوتى هلموا فلنطرح عنا الاهتمام بالأمور الأرضية لأن كافة الأشياء تزول وتفنى ، وليس ما ينفعنا فى تلك الساعة سوى الأعمال الصالحة التى اكتسبناها هنا ، لأن كل واحد يحمل أقواله وأعماله قدام قضاء الحاكم ، القلب والكليتان ترتعدا حين يصير فحص الأعمال والأفكار . .

خوف عظيم يا أخوتى ، رعدة عظيمة يا أحبائى . من ترى لا يرتعد ، من ترى لا يبكى ، من ترى لا ينتحب إذ هناك تظهر الأعمال التى عملها كل أحد فى الخفاء والظلمة . أفهموا يا أخوتى هذا المعنى . . الأشجار المثمرة من باطنها فى أوان الأثمار تبرز الثمر مع الورق ، تكتسى من خارجها بجمال وحسن وبهاء لكن من باطنها تغطى كل واحدة ثمرها حسب طبيعتها . هكذا فى ذلك اليوم المرهوب يبرز كافة الناس وتظهر أعمالهم ان كانت صالحة أم شريرة ، وكل واحد يحمل ثماره (أعماله) وأوراقه (كلامه) فالقديسيون يحملون الثمر الغض نضارته ، والشهداء يحملون فخر صبرهم على التعاذيب ، النساك يحملون النسك والمسكنة . الحمية ، السهر ، الصلاة ، والناس

الخطاة المنافقون والدنسين يعملون أمراً قبيحاً ، ويكونون مرعبين خزياً وعبرات ودود لا يرقد فى النار التى لاتخمد ، مهول يا أخوتى مجلس القضاء هناك لأن كافة الأشياء بغير شهود تظهر الأفعال ، الكلام ، الأفكار ، . . وبمحضر الماثلين هناك ربوات ربوات ، وألوف ألوف رؤساء ملائكة وملائكة ، الشاروبيم والسارافيم ، الصديقين والقديسين ، الأنبياء والرسل ، الجماهير التى لا تحصى .

فلم نتوانى يا أخواتى الأحباء فان الأوان قد حان ، واليوم قد بلغ حين يظهر الحاكم المرهوب مكتوماتنا إلى النور ، فلو عرفنا ما قد أعد لنا يا أخوتى لبكينا كل حين فى النهار والليل ، متضرعين إلى الله أن ينجينا من ذلك الخزى والظلمة المدلهمة لأن فم الخاطىء ينسد أمامه والبرية كلها ترتعد وكذلك تتزعزع القوات السمائية من ذلك المجد وقت مجيئه .

« ماذا نقول له يا أخوتى عن توانينا فى ذلك الوقت يوم الدينونة ؟ » أنه يتمهل ويجذبنا كلنا إلى ملكه وسيطالبنا بجواب عن هذا التوانى الذى لنا فى ذلك الزمان اليسير ، فيقول لنا بذاته أنى من أجلكم تجسدت من أجلكم مشيت على الأرض جهارا ، من أجلكم جلدت ،

من أجلكم بصق على ، من أجلكم لطمت ، من أجلكم صلبت مرفوعاً على خشبة ، من أجلكم أنتم الارضيين سقيت خلا لكيما أجعلكم قديسين سمائيين ، وهبت لكم الملك الذى لى ، أعطيتكم الفردوس وسميتكم كلكم إخوة لى ! وقربتكم إلى الآب وأرسلت إليكم الروح القدس . فأى شيء أكثر من هذا لم أصنعه لكم لتخلصوا ؟ !

قولوا لى أيها الخطاة والمائتون ما أصابكم من أجل السيد المتألم من أجلكم ؟ . ها قد استعد الملك فبحسب ما يسلك كل واحد يعطى .

ضع نفسك تحت نير الناموس حتى تصير حراً بالحقيقة[10] ، لا تتمم مشيئته نفسك منفصلة عن حد ناموس الله ، لابد أن أكتب الكثير من الوصايا وان أحضر العديد من الشرائع التى يمكن أن تتعلمها من نفسك إذا كنت تسعى إلى تحرير نفسك ، وإذا كنت تحب النقاوة فلابد أن تقوم بتعليمها لآخرين أيضاً ، لتكن الطبيعة هى كتابك الذى تقرأه ، والخليقة كلها جداولك وتعلم منها الشرائع والناموس وتأمل

---

(١٠) مترجم عن The writings of Niciene & Post Niciene Fathers Vol 13 - Page «335»

المعرفة غير المكتوبة . الشمس فى مدارها تعلمك الراحة من العمل والتعب ، الليل فى سكونه يعلن لك أن هناك حدوداً .

الصديقون تكون الدينونة[١١] نصب أعينهم دائماً ، كما أنه معد للناس أن يموتوا مرة واحدة ثم الدينونة . لذلك يطلبون ليلا ونهاراً سائلين أن ينجوا من نار جهنم ومن العذاب الأبدى وأن يؤهلوا مع الملائكة وأما المنافقون فذكر الموت عندهم هو شىء ساذج بجرد لأنهم لا يجتهدون خائفين من الأمور التى بعد الموت بل ينتحبون على فقدهم الملذات ومفارقتها . . إذ يكملوا القول « نأكل ونشرب فاننا غداً نموت » ولا يهتموا بما ينفعهم بل يجمعوا بأيديهم ما لاثمر له . . . والذين يحبون الثروة الارضية فكافة عمرهم مشتغل بالرجاء الباطل ، وبقدر ما يتسامى فى الغنى بقدر ما تنمو لديه مخافة الموت كثيراً . . ليس من أجل جهنم وحكم الله العادل لكنهم يتحيرون فى أنفسهم نائمين على ثروتهم قائلين ترى من يرث بعدنا ، ومن يكون صديقاً للملوك ومن يرث المملكة بعدهم ؟ . .

---

(١١) عن ميمر (٤٤) .

ترى من يتملك هذا الذهب والفضة ؟ ترى من يستخدم هذه الآلة الذهبية ؟ ترى من يرث الحلل المذهبة ؟ من يركب الخيل المنتخبة المذهبة لجمها ؟ ومن يتقدم كثرة الغلمان ؟ . . من يسكن فى المجالس التى وشيتها أنا باهتمام الرخام والتى زخرفت أرضها بالفصوص المذهبة وسقفها بالذهب ؟ . . ترى من يخدم أصحاب الموائد والسقاة ؟ ترى لمن تمثل الخدم الذين يخدمون من يضجع على الاسرة المفضضة ، ويستعملون الاطعمة التى أطايبها من الهند ؟ من يستعمل الغلات الجيدة التى من الحقول والثمار الاولى التى للبساتين ؟ . . من يصير خائفاً يتولى خزائن السلاح . . والمركبات والخيول ؟

وإذا شدت أفكاره إلى جهات أخرى كثيرة ولا يجد من يلجأ إليه يتنهد ثم يعود أيضاً للاهتمام بالارضيات غير مهتم أن يكنز لنفسه فى السموات شيئاً ! . . .

فإذا نال نهاية مأثوراته من توفر الغلات والبهائم وبهاء مرتبته ، وشهامته فى الحروب . . . فحينئذ ذكر الموت يزعج قلبه فان ضعفت أعضاؤه بالشيخوخة ولم يستطع أن يخدم اللذات حينئذ يحقد على الحياة ، وان كان جافياً متصلفاً يبعد ذكر الموت بإفراط الرفاهية .

أنه يضاهى المريض الذى يتظاهر بالصحة ، ويأكل الاغذية التى تضاد المرض ويظن أنه بها يزيل المرض . . لكن المرض قد شاع فى أعضائه . . إذا فرح بمعاينة الجمال فليفكر فى إنتظار النوح وان هذا الجمال يزول ويصير عوض هذا الحسن الظاهر الآن عظام مرفوضة منتنة . .

المتوانون والمتهاونون تنقضى أيامهم فى ظلمة الخطية ظانين أن ساعة الموت بعيدة عنهم فيماثلون الذين يمشون فى ظلمة الليل إذ يظنون أن الموضع الذى يطلبونه بعيداً عنهم . .

« والذى قد تأمل بعين نفسه الصافية طغيان هذا العالم وصار على سمو من تلك الاشياء التى ههنا فانه يتفطن دائماً إن أكل ، وإن شرب ، إن رقد ، وإن عمل . . . تستأنفه الطبيعة كل يوم وكل ساعه إلى نهاية العمر الوقتى فلذلك يعرض عن الاشياء كلها كأنها مثل كناسة تلقى فى سلة المهملات فيحرص أن يبعد ذاته عن كل مرثاة العالم والتألم له . . فمن يعقل المعقولات العلوية والمتسامى سعيه إلى الله فذلك على سمو منها . ساعياً بكافة قوته وراء الفضيلة لانه ليس اكرم منها قدرا إذ تجعل الناس أحباء الله فكافة الذهب فى عينها تحتقره كالرمل ، والفضة قدامها

تحسبه كالطين ، لا يضمرها الشقاء ، ولا يكمد نورها الموت المرهوب عند كثيرين فالذين قوموا الفضيلة بدالة يهتفون مع القائل « لى اشتهاء أن انطلق وا كون مع المسيح ذاك أفضل جداً »[١٢] .

إذ تركنا أعمال الأمم فلا نعود إلى الأشياء التى وراء[١٣] أى التى قد مضت ونعملها أيضاً ، قد جحدت الشيطان وملائكته دفعه ووقفت أمام المسيح بحضرة شهود كثيرين . فانظر أمام من وقفت وتعهدت ولاتستهن به واعلم هذا أنه فى تلك الساعة كتبت ملائكه أقوالك وتعهداتك وخضوعك وخبأوها فى السموات إلى يوم الدينونة الرهيب . فى ذلك اليوم يحضر الملائكة كتاب الوثيقة التى عليك وكلمات فمك يوم المقام المرهوب حيث يقف الملائكة مرتعدين وحينئذ تسمع الصوت المعطى الويل أيها العبد الخبيث من فمك ادينك . بالحقيقة إنك تتنهد حينئذ تنهداً مراً وتبكى فى تلك الساعة ولاينفعك شىء[١٤]

ـ ارحم نفسك ولا تبغض ذاتك افتح عينك وأبصر كيف أن قوما

---

(١٢) (فيلبى ١ : ٢٣) .

(١٣) عن المخطوطة ٣١٨ ميامر، وكتاب دموع التوبه القديس مار أفرام السريانى ـ يوسف حبيب ص ٢٣، ٢٤ .

(١٤) يقول ذهبى الفم « مهما كانت خطايانا يمكن غسلها بالتوبه أما عندما نرحل فلاتنفعنا أعمق توبه » عن الحب الرعوى القس تادرس يعقوب ص ٣٤٥ .

كثيرين يجاهدون ، كيف يحرصون أن يخلصوا ، كيف يتعبون ذواتهم فى كل عمل صالح ، كيف قد أعدوا مصابيحهم بهية ، كيف يسبح فمهم كل حين ، وعيونهم متأملة جماله ونفوسهم مبتهجة .

الويل منك أيها الموت فانك أنت الغريم الذى لايقضى ، والمستقر الذى لايرد ، والسارق الذى لايستحى ، والمتسلط الذى لا يخاف والرسول الذى لايتأخر . ما أمر كأسك ، وما أفزع لقائك ، وماأرهب رؤيتك ، وما أشد هيبة منظرك ، وما أثقل قدومك ، وما أكره شبهك ، وما أشد ساعة مجيئك حول الإنسان ، الويل لمن لا يستعد قبل نزولك به ، والويل لمن يغفل ويتوانى حتى تأتى ساعتك .

طوبى لمن يجهد نفسه فى صلواته قدام الله من قبل حضـــورك إليه[١٥] . . طوبى لمن حرص فى شفاء سقمه ومرضه مادام هو فى الدنيا ، الموت يا أخوة أفضل من حياة الدنيا فى الخطايا والذنوب . .

كيف ندفن الموتى ولا يرعبنا الموت ؟ إن ذلك لقساوة قلوبنا وترك وصاياه ، ثم أننا ننسى ونتهاون بذلك ولا نبالى ، فالآن يا أخوتى ينبغى أن ننظر الموت .

---

(١٥) عن المخطوطة « ١٨١ » نسكيات — دير السريان — بتصرف .

ونقول : أين من كان بالأمس معنا وها اليوم آخرون يحملونه إلى القبر ؟ !

أين الملك الذى صار صنما لا يبصر ولا يسمع ولا يقدر أن يدفع جواباً عن نفسه ؟

أين الذين كانوا فى النعيم واللذة وصار نعيمهم إلى لا شىء ؟ .

أين الجميل الوجه الذى صار منظره بشعاً لمن يراه ؟ .

أين القوى والذى كان قد ظفر وغلب ؟

أين الصورة الحسنة التى قد فسدت وتلك الأعضاء التى تعظمت ؟ .

أين الرأى الملتمس والكلام الذى قد بطل وذلك الجسد المنحل ؟

فالآن يا أخوة لنهتم بأمر الموت ونترك عنا كل شرو تعمل الصلاح والخير دائماً . . . ونحرص أن نكون فى طاعة الله ، وحفظ وصاياه، وفعل محبته ، ونتذكر الموت ، وننظر إلى الميت فنجد فمه مغلقاً ولسانه معتقلا . فلنتضرع قبل أن ينزل بنا فجأة يا أخوة لابد من شرب كأس الموت المر ولذا ينبغى لنا أن نكون مهيئين لتلك الساعة الشديدة ونبعد عنا الضحك والهزء والمزاح والإعجاب والصلف والعظمة ، ونحرص

فى إقتناء الاتضاع والزهد ونفزع ونخاف ونقول : أين الذى نصب نصبه (غرسة) ومنه لم يأكل ؟ !

أين الذى أسس وبنى وفى منزله لم يثبت ؟ .

أين الذى ربط بيديه ولم يحل ما ربط ؟ ! .

أين الذى عمل وربح ومنه لم ينتفع لأبديته وصار ماله لإخوته ؟ !

أين الذى كان يحرص ويجتهد ويحتال وصار منه غريباً ؟ فالموت كان يطرق بابه ؟

أين الذى أهلكه التعب والحرص فصار كده وسعيه لغيره ؟

أين الذى كان يدخل ويخرج فانه خرج ولم يدخل ؟ ؛

أين الذى كان يشيع آخرين فصار مشيعوه ينصرفون عنه وهو ليس معهم ؟ !

أبوك الذى ولدك يدعوك إلى القبر وينصرف عنك ، وأمك التى ولدتك وربتك وكانت تحبك تحملك فى القبر وتنصرف عنك ! وكذلك اخوتك وأصدقاؤك الذين كانوا عندك كنفسك فانهم إلى القبر يصحبونك ويحزنوا ، فاذا غلق القبر أنصرفوا ونسوا صحبتك القديمة التى كانوا

عليها كقول داود النبي ، نسيت من القلب كالميت ، فلذلك يا أخوتى ينبغى أن نتنبه ونخشى الرب ونحرص لطاعته ورضاه فإن كل شيء يذهب ويبطل والرب دائم إلى الأبد ، ينبغى أن نتفكر الموت . . ونشكر الرب الذى أمات الموت .

ينبغى أن نتنبه فى أمر الموت : فمن كان سيداً على ما يملك ويحكم فيه كيفما يشاء صار مرفوضاً كحيوان ميت ، وقد صار هذا الإنسان غريباً عن جميع ما يملك وصار كده وسعيه إلى غيره من ذوى جنسه ، وصار غريباً عن أهله وأحبائه ، وليس لأهل الميت يا أخوة إلا أن يسرعوا باخراجه من منزله فى حزن حتى يدخلوه القبر ثم يدعوه وحده وينصرفوا وهو نفس مصير غيره عند نزول الموت .

« فأين الذى تعب ولم يبق حتى ينظر إلى نتيجة تعبه ؟ ماذا انتفع حيث تركه لغيره وانصرف عرياناً ؟ !

فتفكروا فى الذين قبرتموهم واحذروا مما نزل بهم قبل نزوله بكم .

الروح القدس[١٦] يوضح للانسان ماهو الطريق الصالح وما هو

---

(١٦) عن ميمر ٤٢ المخطوطة ٢٠٠ ميامر قول « ٥٥ » .

الطريق غير الصالح . . حتى إذا ما عرف الإنسان مجازاة كل منهما يهرب من الشر فإن كان يعرف ولا يهرب فأى عذر له فى يوم الدينونة ؟

لقد تذكرت تلك الساعة الرهيبة وأرتعدت ، وتأملت تلك الدينونة (١٧) المفزعة فانذهلت للسرور الذى فى الفردوس فبكيت وتنهدت حتى لم يبق فى قوة لأبكى لأن أيامى قد عبرت فى التوانى والتنزه ، وفى الافكار الدنسه أكملت سنى حياتى . . كيف سرقت ولم أعلم وكيف عبرت ولم أحس . أيامى فنيت ومآثمى تكاثرت . ويلى ويلى يا أحبائى ماذا أصنع لخزى تلك الساعة إذا التف حولى الذين يطوبونى وأنا من داخل مملوء إثما ونجاسة متناسياً الرب الفاحص القلوب والكلى . . .

أيها الصالح . . ترآف على . . أعطنى بكاء وتخشعاً دائماً ، ولقلبى تواضعاً وطهراً ليصير هيكلا لنعمتك المقدسة .

يا أخوتى الأحباء اتضرع اليكم أن تحرصوا على ارضاء الله . ابكوا قدامه نهاراً وليلا فى صلواتكم وتسابيحكم لينقذكم من ذلك البكاء الذى لاينقضى ومن صرير الأسنان ومن نار جهنم ومن الدود

---

(١٧) ميمر ١٠ عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر — دير السريان العامر .

الذى لاينام، ويفرحكم فى ملكوته بالحياة حيث يهرب الوجع والحزن والتنهد ، وحيث لا يحتاج أحداً دموعاً ولا توبة ، وحيث لا رعدة ولا خوف ، وحيث لا يوجد المحارب والمعاند ، حيث لا خصام ولاسخط .. لكن الفرح والسرور الدائم والمائدة الروحانية التى أعدها الله للذين يحبونه . فمغبوط بالحقيقة من يؤهل لها وشقى من يتركها .

أطلب اليكم يا أحبائى أن تصلوا لأجلى .. ليصنع معى رحمة .. انفضوا لى من فتات موائدكم فيتم فى القول « الكلاب أيضاً تشبع من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها »(١٨) .

فلنحرص يا أخوتى لأجل حياتنا فانه الأشياء كلها تعبر كالظل ، ولنبغض العالم وكل الاهتمام البشرى ... « إذ ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى فداء عن نفسه »(١٩)

أيها الحبيب ، تأمل فى كل صباح ومساء كيف تتجر ، وفى كل عشية أدخل إلى قلبك ، وتفكر فى ذاتك قائلا أترانى أغضبت الله فى شىء ؟ أترانى تكلمت كلمة بطالة ؟ أترانى أغظت أخى ؟ أترانى

---

(١٨) (مت ١٥ : ٢٧) .
(١٩) (مت ١٦ : ٢٦) .

تخيل ذهنى أمور العالم وشهواته وقبلتها بتلذذ[٢٠] .

تنهد وابك وفى الصباح ادرس الوصية ، وقل كيف أمضيت هذه الليلة ؟ هل ربحت تجارتى ؟ هل دمعت عيناى دموعاً حين أحنيت ركبتاى أم جاءت إلى أفكار خبيثة ؟ .

« أحذر أن تدفع ذاتك إلى التوانى . . أنظر إلى النحلة ، وأبصر سرها العجيب كيف تجمع رحيقها من الأزهار على إختلاف أنواعها ، فإن اجتمع كافة حكماء الأرض لما استطاعوا أن يصنعوا حكمتها إذ كيف تدفن أولادها فى خلاياها وحين يخرجون يستمعون كلهم إلى صوتها ويتطايرون كما يأمر الرئيس قواده وتملأ مكانها من أطعمتها الحلوة (عسل النحل) فأية حكمة وهبت لتلك الحشرة الصغيرة . . . فأصبر أنت ياحبيبى مثل تلك وأجمع لنفسك من الكتب الإلهية غنى وكنزاً لا يسلب . . وكما يرسل الرئيس غلمانه قدامه إلى البلد التى يسافر إليها هكذا أرسل انت غناك إلى السماء لتقبل فى مساكن القديسين ولا تتوان فى هذا الزمان القصير . . .

---

(٢٠) تأمل : الذى كان يطأ الأرض بقدمية قد وكأنة الأرض وطوتة تحتها والذى كنت تخشاه ... قد نزل حفرة ضيقة وانهالت عليه الأتربة وتغطى بالرمال ! (عن كتاب سر التقوى للاستاذ حبيب جرجس ص ٣٩٩) .

الوجه المغسول بالدموع مع قلب نقى له ذلك الجمال الذى يلمع أكثر من الشمس بين يدى الله والقديسين . ! .

أحرص أن تقتنى الفضيلة التامة الموشاة بكافة المناقب التى يحبها الله ولا تعمل بقريبك سوءاً . . . إن كافة الفضائل مثل تاج الملك ويصير غير تام إن كان ينقص إحداها . . . الفضيلة إذا ربطت بأحد الامور الارضية تموت ، وتنقسم وتهلك ولن يمكنها الإرتقاء إلى أعلى إذ سمرت بأمر أرضى ، فلتتنهد وتبك عليها إذ بعد أن أرتفعت إلى السماء وبلغت باب الملك بنفسها لم تستطع أن تدخل مثل أناس قوموا الفضيلة بربوات اتعاب ووشوها مثل تاج الملك فلما أرتبطوا بأمر أرضى وقفوا خارج الملك السمائى . فاحذر لئلا تدفع ذاتك للعدو وتنقض الفضيلة التى أقتنيتها بأتعاب جزيلة . . . فحرك ذاتك وانهض وأقطع تلك الشعرة الحقيرة لئلا يستهزأ بك مثل شمشون الجبار . . . أصغ إلى ذاتك وكن مثل غواص يغوص فى العمق ليجد الدرة الثمينة . . فإذا وجدها يصعد بها إلى أعلى المياه وهو عار ، هكذا أنت جرد ذاتك من جميع أدناس العالم وألبس هذه الفضيلة وتزين بها وتيقظ ليلا ونهاراً[٢١] . . إذ مثل تلك النفس لا يكون لها محبة لشىء آخر

(٢١) أن الرب قد أخفى عنا اليوم الأخير لكى نستعد للموت فى أيامنا كلها (عن كتاب الاستعداد) .

غيرها . وهكذا تنمو أكثر وتكلل وتنجح لدى الله دائماً بل ويتباهى جمالها وإذا خرجت من الجسد يبتهج بها الملائكة ويدخلونها إلى أبى الأنوار إله المجد المتعطف وحده ! . .

لماذا لا نستعد ولدينا وقت[٢٢] ؟ لماذا تتهاونون بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح أو تظنون أن أقواله وأقوال قديسيه لاتدينينا فى ذلك اليوم أن لم نحفظها ونعمل بها . . قد سمعتم ، قول الرب للتلاميذ الذى يسمع منكم يسمع منى ومن يخالفكم يخالفنى . وفى موضع آخر يقول من يخالفنى ولا يسمع أقوالى أنا لا أدينه لكن له من يدينه . القول الذى قلته ذاك يدينه فى اليوم الأخير . . .

طوبى للذين عطشوا وجاعوا فانهم هناك سيشبعون وويل للشباعى فانهم هناك يجوعون ويعطشون ، طوبى لمن أفتقروا وبكوا فانهم هناك يتعزون وويل للذين يضحكون الآن فانهم هناك سينوحون ويبكون بلا فتور ، طوبى للذين رحموا فانهم هناك سيرحمون وويل لمن لا رحمة لهم . . .

---

(٢٢) بستان الروح جـ ١ ص ٥٠ للقس شنوده السريانى (نياقة الأنبا يؤنس حالياً) .

أسأل نفسى أين سيكون مسكنى عندك يارب[٢٣] الدهور ؟ فى ذلك الدهر العتيد بعد كمال عمرى وإنتهاء حياتى أسيكون حظر بين المتوجعين فى قاع الجحيم ؟ أم أكون بين المرتمين بالسرور على أسوار أورشليم ؟ اسيكون مقامى فى الظلمة أم فى النور ؟ أفى الشدة أم فى بهجة النعيم ؟ .

ضع فكرة الموت[٢٤] نصب عينيك دوماً وكلما شيعت ميتاً تذكر أنك ستشيع يوماً ، فابك إذن وأندب نفسك ، وأطلب الرحمة من ربك ، مثلما تتساقط الأوراق من الأشجار هكذا يتساقط البشر من الحياة ، فكلما هبت ريح الموت لست واثقاً من إفلاتك ، فاربح نفسك بالتوبة لتحيا حياة أبدية . إلى متى تهمل نفسك مالى أراك ممعناً فى الخطيئة وكأنى بك لن تموت ؟ !

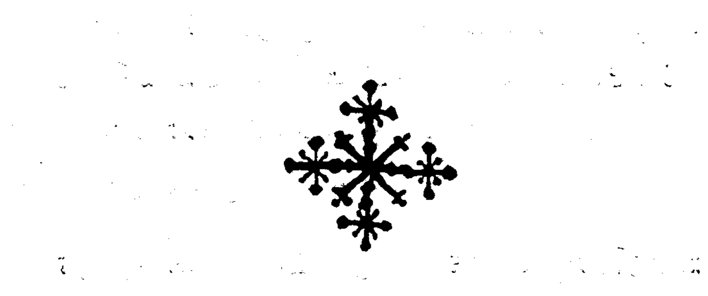
تقول وما يضير إن أخطأت فى صباى ؟ ترى ما حياتك أن خطفتك

---

(٢٣) عن كتاب السبع طلبات — دير السريان « ص ١٣٠ » .
(٢٤) من كتاب اجوبة الزمان أو إنبى السريان — لـ١ واغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق — ١٩٧٤ م .

يد المنون خلسة ؟ انك تأمل أن تتوب فى شيخوختك فهل أنت واثق من بلوغها ؟ !

وقال : مررت ذات يوم بباب القبر متأملا : فرأيت العالم فى حقيقته : رأيت العبد وسيده ، والتلميذ ومعلمه سواسية. أجل رأيت الملوك راقدين وقد نزع منهم سلطانهم !



صلاة للمديس (٢٥)

أرث أرث أيها المتحنن المسيح المخلص الإبن الوحيد لعبـدك البطال لئلا أكون هناك قدام منبرك واقفـاً بخزى عظيم ، وعار للملائكة والناس ، لـكن أدبنى ههنا يا مخلصى كما يليق بالآب المتحنن والمحب لابنه . . واغفر لى هناك بما انك أنت الإله الذى بلا خطية وحدك ! .

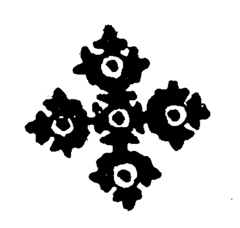
أيها المخلص ان لم تنظر إلىّ أنا الشقى ههنا وتعطينى إستنارة قلب فأتوب فى كل وقت بـلا خجل عن خطاياى فماذا أصنع هناك إذ لا عذر لى ! لقد جبلت من بطن أمى بخطيتى ، وولدت أنا الغير مستحق رحمتك وأهلت أن أصير إناء لنعمتك ومرنما جليلا يرنم دائماً كلمات الخلاص لـكافة المستمعين . . . لـكن أنارت عقلى نغمات ترنيمك أيها المسيح . . فمن أجل هذا أجثو أيضاً ساجداً لنعمتك أيها الإبن الوحيد مخلصى وكما صارت فى نعمتك أنا الغير مستحق هكذا

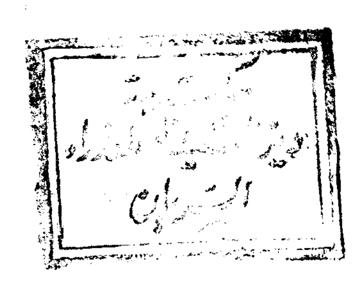
---

(٢٥) عن ميمر «١٣» بتصرف .

أعطنى إستنارة ونصراً دائماً وفرحاً لكى تسترنى هناك تحت أجنحتها من تلك الدينونة المخوفة، واقف عن يمينك مترنماً برحمتك، ومسبحاً وممجداً طول أناتك أيها البارى إذ لم تعرض عن عبرات الخطاة .

لك السبح والمجد الدائم إلى الأبد آمين ؟





الفصــل الرابع

التخشع والدموع

« صارت لى دموعى خبزاً نهاراً وليلا » (مز ٤٢:٣)



إن الشمس قد بلغت ساعة المساء ومن أجلك تتوقف إلى أن تبلغ[1] المنزل ! . فإلى متى تحتمل العدو وتكمل مشيئته فإنه يتمنى ويحرص أن يأتى بك إلى النار .

أنه دائماً يحارب الناس جميعاً بالشهوات الردية النجسة . . « ويمنح الذين يذعنون له اليأس ، وقساوة القلب وجفاف الدموع لئلا يتخشع ذلك الخاطىء تخشعاً تاماً . » فأهرب منه أيها الانسان ، وأرفض مشوراته اهرب من ذلك الغاش أنه قاتل الإنسان منذ البدء وإلى المنتهى .

اسمع أيها الحبيب الصوت القائل كل وقت « تعالوا إلى ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم[2] »

« أنه يعطى الراحة والحياة فلم تتوانى أيها الإنسان ؟ ! ولم تجوز يوماً فيوماً . تقدم ولا تجزع فإن السيد صالح ومتحنن ! . . . يشفى الجراحات ويهب الحياة دون حسد لأنه إله صالح يقبل بسهولة كافة الذين يخرون له ساجدين إذ هو الإله الأعظم الذى بسابق علمه يعرف

---

(٢) (مت ١١ : ٢٨ — ٢٩)

سائر أفكارنا ! . وإذا تقدم اليه الانسان يبرأ لأنه يعاين قلبه وكافة أعماله ...

« أنه إله صالح قبل أن يهمل الدموع يسكب كنوزه ، وقبل أن تتضرع اليه يصالحك ، وقبل أن تبتهل اليه تنال الرحمة .. لأن محبة الله هكذا تشتاق إلى كل من يقبل إليه . أنه لا يبطىء عن الاستماع ولا يطالبك بالزمان الذى قد مضى إنما يطلب من يخضع له فى تواضع بدموع وتنهد إذ يغفر تماماً كافة الاثم والخطية بل وكل الهفوات ، ويأمر فى الحال بإحضار الحلة الأولى ويجعل خاتماً فى يده اليمنى ويأمر الملائكة أن تسر معه برجوع هذا الخاطىء»[٣] .

فاذ لا نزال فى ذلك العالم نستطيع فى كل وقت أن نستعطف السيد وسهل علينا أن نبتغى الغفران ولنا أن نقرع باب تحننه «فلنسكب العبرات مادام لنا وقت تقبل فيه الدموع قبل أن ننصرف إلى ذلك الدهر الآتى حيث لا يقبل البكاء إذ لا تحسب الدموع هناك بقدر ما تكون الآن بمشيئتنا ! .

---

(٣) (لو ١٥ : ٢٢ — ٢٤).

من يؤمن بابن الله تكون له حياة دائمة[٤] .. إذ قال « من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى »[٥] .

الحطب الكثير ينمى اللهيب ومخافة الله تكثر المعرفة فى قلب الانسان والعمل يحقق العلم ، استيقظ إذا كنت تزرع بذار سيدك لئلا يختلط به الزوان .. ولنطلب من الرب أن يعطينا معرفة وفهماً لنتيقظ فى كل شيء .

« الكور يختبر الفضة والذهب وينقيهما ، وتقوى الرب تهذب الأفكار وتنقيها ، مثل الصائغ الجالس إلى السندياد فهو يعمل أوانى حسنة ونافعة كذلك مخافة الرب تجرد كل فكر خبيث من القلب وتنظفه وتبرز ألفاظاً بمعرفة فلنعط مجداً لمن منحنا مخافته فى قلوبنا » ، « بدء الحكمة تقوى الرب » ، والفهم الصالح لكل من يعمل بها .. « الحكيم يحفظ وصايا المسيح ، ومن يسلك فيها لا يخزى إلى الأبد ومن يملها فذلك جاهل ورجاؤه باطل » ، « من يحفظها جيداً فقد انتقل من الموت إلى الحياة ، ومايعاين ظلاماً للأبد وفى يوم وفاته يجد دالة ونعمة

---

(٤) عن ميمر « ٦٥ » ، ومجلة الكرمة للاستاذ حبيب جرجس السنة الثانية عشر ص ١٧٨ .

(٥) (يو ٧ : ٣٨) .

وملائكه ترشده ... وأساسه على الصخرة التى لا تتزعزع ويصير وارثاً للحياة الخالدة مثل هذا مغبوط لأنه عرف أن يصنع مشيئة خالقه .

« إذا ضرب البوق يستعد الجيش للحرب لكن فى أوان الجهاد ليس الكل محاربين ، لا تقل عن ذاتك انك .. ، وبلا عيب قدام الله فالأشياء التى نسبتها هى ظاهرة قدام الله » وليس المكان يعمل الانسان تاماً بل الافراز ! ..

« مخافة الرب » ينبوع حياة ، « مخافة الرب » تنقى العقل ، « مخافة الرب » صيانة للنفس ، « مخافة الرب » تعطى المتقى الرب نعمة فى كل تصرفاته ، « مخافة الرب » مديرة للنفس ، خشية الرب تضىء النفس وتبعد كل ما هو خبيث ، « مخافة الرب » تبعد الآلام وتنمى المحبة ، « مخافة الرب » تقطع كل شهوة ردية .

خشية الرب مأدبة للنفس إذ تبشرها بآمال صالحة ، « مخافة الرب » تتقلد طرق السلام خشية الرب تملأ النفس من الروح القدس ..

« ليس فى الناس أعظم قدراً من المتقى الرب » أنه مثل نور يرشد الكثيرين إلى الخلاص ، يشابة مدينة حصينة فوق جبل ، مغبوطة تلك

النفس التى تخشى الرب لأنها تتقدم فتبصر أمامها القاضى العادل كل حين ! . .

ان اخطأ أحد إلى الله وتراخى . . . فليبك[٦] باشتياق ولينتحب بلا تفويت مادام يوجد له زمانا على الأرض . . فيجلب بالدموع سروراً إلى قلبه وليحم جسمه بالدموع والزفرات . . .

أتراكم يا أخوتى لكم خبرة بالدموع ؟ . هل أضاء أحدكم بنعمة الدموع التى من أجل الله . تيقنوا يا أخوتى « أنه ليس على الأرض أكثر حلاوة من الفرح والتخشع فى تلك الساعة إذا صلى الانسان وجلس الإله فى قلبه دائماً ! . » وأختبر هذا حين صلى بارتياح وشوق فارتفع من الأرض وصار بجملته خارج الجسد بل خارج هذا الدهر كله إذ يناجى الإله نفسه ، ويستضىء بالمسيح ، ويتقدس دائماً بالروح القدس عجباً يا أخوتى أن يخاطب إنسان ترابى دائماً فى صلاته الإله الذى لا يرى . ! . التخشع ياأخوتى يفيد فى إغتفار الخطايا ، ويستجدب الروح القدس ، بالتخشع ياأخوتى يسكن فينا الإبن الوحيد إذا أقبلنا اليه وإنى خائف ياأخوتى أن أصف لكم إقتدار الدموع . ! .

---

(٦) عن ميمر «١٧» .

حنة النبية بالدموع أخذت من الله صموئيل النبى وكان فخراً لقلبها،
المرأة الخاطئة فى منزل سمعان أخذت غفران خطاياها حين بكت
وبلت قدميه المقدستين(٧) بدموعها . عظيمة هى قوة الدموع ياأخوتى
التى من أجل الله فهى تقتدر كثيراً ! تجلو دائماً النفس من الخطايا
وتنظفها من الآثام ، العبرات التى من أجل الله تمنح دالة لدى الإله
القدوس ، والأفكار الخبيثة ما تقدر قط أن تقترب من النفس الحاوية
التخشع . فماذا ترى أعلى سمواً وأكثر تطوبياً من النفس الحاوية
الله والتى تصلى وتبتهل اليه إذا هدفت النفس إلى الله تبصره دائماً
فى صلاتها وتلهج فيه الليل والنهار . !

التخشع هو كنز لايسلب والنفس الحاوية له تفرح فرحاً لاينطق
به ، ليس تخشع يوماً إنما التخشع الدائم الذى داخل النفس ليلا ونهار

التخشع فى النفس يا أخوتى هو كعين صافية تسقى غروسها
المثمرة أي الفضائل التى تسقى دائماً بالدموع والزفرات فتثمر ثمراً
نضراً صافياً نافعاً أبداً لنفسك .

أسق أيها الأخ غروسك بلا انقطاع مبتهلا بدموع حتى تنمو وتثمر
يوما فيوماً ، ولاتصر متشبها بى أنا المسترخى والخاطىء الذى أقول

---

(٧) أنظر (لو ٧: ٣٦ — ٥٠) .

كل يوم ولا أعمل البتة .. لاتصر متوانياً ومسترخيا باختيارك فلا يكون لك خشوع ولا صلاة نقية ... فانى فى خوف دائم من الدينونة وليس لى عذر عن جريمتى فأطلب اليكم يا أخوتى القديسين الخائفين الله والذين تفعلون ما يرضيه أن تصلوا عنى أنا الحقير لتدركنى النعمة بصلواتكم وتخلص نفسى فى تلك الساعة المخوفة التى فيها يجىء المسيح فيكافىء كل واحد نظير أعماله ... له المجدإلى أبدالدهور آمين

تفهم يا أخى أنه من أجلك(٨) أقبل من السماء الإله القدوس الأعلى ليعليك من الأرض إلى السماء ، مغبوط فى ذلك اليوم الذى حرص هنا كى يوجد مستحقاً لتلك السعادة ، وإذ أنه لا يمكن أن تباع الأدوية السماوية والقدسية لأنه ليس لها ثمن ولكنها بالدموع توهب للكل . ترى من لا يعجب ومن لا ينذهل ، من لايبارك كثرة تحننك أيها المخلص لنفوسنا لانك أرتضيت أن تأخذ الدموع عوض أشفيتك فيالقوتك أيتها الدموع ؟ ! انك تدخلين إلى السماء بجاهرة كثيرة بلا مانع وتأخذين طلباتك من الإله القدوس ! .

الضحك يحذف تطويب(٩) النوح خارجاً ، ينقض بناء الفضائل ،

(٨) بستان الرهبان « ص ٢٨٢ » .

(٩) عن ميمر « ٢٠ » .

يحزن لروح القدس ، ماينفع النفس بل يفسد الجسم ، ليس فيه ذكر الموت ولا تفكر العذاب . الضحك والدالة مثل ريح السموم تفسد ثمار الراهب . . ويحدرانه إلى أسفل . . فأعطنى يارب النوح والبكاء إذ بدون النوح لن يعرف الإنسان ذاته وليكن لنا النوح الذى لأجلك وليس لأجل الناس ، لنكن مبتهجين بالروح القدس ومواهب الرب نائمين بعقولنا . ضارعين إلى الله دائماً لكى لانعدم ملك السموات والخيرات التى أعدها للذين يحبونه .

النوح يبنى ويحفظ النفس ويجعلها نقية طاهرة ، النوح يولد العفة ، يقطع الشهوات يقوم الفضائل ، النوح يطوب من الرب لذا قال أحد التلاميذ ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم ، اتضعوا قدام الرب فيرفعكم(١٠) .

ماذا أصنع أنا الخاطىء إذ لم أنح ولم أبك على نفسى بتخشع ، اتكلم وما أعمل ، ويلى كيف أتهاون ويلى كيف أتوان فى خلاصى ؟ ويلى لأنى بمعرفة أخطىء ويلى أنى بلا عذر ، ويلى فانى بأقوالى يحسبنى البعض من ذوى اليمين ، وبأفعالى قد وقعت فى اليسار . . .

---

(١٠) (يع ٤ : ٩ — ١٠) .

لكن لك وحدك أيها الصالح أعترف بخطيتي إذ تعرف كل الأشياء وأنا صامت فليس شيئاً مكتوماً تجاهك . يارب قد أخطأت إليك ولست أهلا أن أتفرس وأبصر علو السماء من قبل كثرة ظلامى ، انني من أجل لذة يسيرة استهنت بالنار أنا اشقى كل الناس .

ليتنى أبكى[11] على ذاتى إذ يوجد لى وقت أيضاً تقبل فيه الدموع! فيارب هب لى دموع فأبكى ليلا ونهاراً . . أتوسل اليك أن تطهر وسخ قلبي . ويلى ماذا أصنع عند الظلمة القصوى حيث البكاء وصرير الأسنان ، ويلى ماذا أعمل نحو الزمهرير والعذاب الذى لا ينقضى ، والدود النفاث بالسم الذى لاينام ، ويلى يانفسى قد أخطأت فتوبى لأن أيامك تعبر كالظل فبعد قليل تنصرفين من ههنا ! ويلى يانفسى إذ بأفعالك الدنسة قد أحزنت الملائكة القديسين الذين يحفظونك . فلا تمنح نفسك راحة ولا أجفانك نعاساً ليعطيك الإله المتعطف معونة . . يا أخوتى بعد وقت قصير لابد أن نعبر إلى أماكن مخيفة ، وليس أحد من ههنا يرافقنا . لا والدين ولا أخوة ، ولا أصدقاء .

فلا نتوانى فى الأعمال الصالحة التى سنجدها فى وقتها ، ولنستيقظ

(١١) «الآن يقول الرب أرجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم وبالبكاء والنوح» (١٢) .

فى هذا الدهر قبل أن تقبض علينا قوات الظلمة بعد الفراق أولئك الذين لا يرهبون ملكاً ، ولا يكرمون أميراً ، ولا يبجلون صغيراً أو كبيراً سوى الذى بالأعمال الصالحة يولون منه منهزمين ...

أن نفوس الصديقين بيد الرب ولن تمسهم آلام، ومجد الله يجللهم . حينئذ يصرخون فيستجيب لهم الرب ... فلا نتوانى يا أخوتى الأحباء فاذا حانت ساعة الفراق تذبل تلك اللذات ، ويهلك التنعم ، ويبيد الغنى وحب الرئاسة جميعها تنحل وتزول ...

مجارى المياه لوقت الحريق ، ومجارى الدموع[١٢] فى زمن التجربة الماء يخمد لهيب النار والدموع تطفى شهوة الشر !

مغبوط هو المتقى الرب ، مغبوط هو الإنسان الذى فى داخله مخافة الله انه يطوب من قبل الروح القدس جهاراً ...

حقاً أن المتقى الرب سيكون خارج كل حيل العدو .. يغلب بسهولة كافة مكائده الرديئة إذ لا يستأسرة بشىء لأنه من أجل التقوى لا يقبل لذة الشهوة ، لا يتنزه هنا وهنا لأنه ينتظر سيده لئلا يأتى بغتة

---

(١٢) حياة الصلاة الأرثوذكسية — لدير السريان « ص ٤٨٢ » .

فيجده متوانياً فيشقه نصفين[١٣] فالمتقى الرب مستيقظ دائماً ، ولا يعطى ذاته نوما إلا بمقدار لأنه يسهر فى مجىء الرب المخوف ، وما يضجع لأنه فى كل وقت يهتم بقنيتة الروحية ، يحرص لئلا يغيظ سيده ، وكل حين يختبر الأعمال المرضية للرب حتى إذا جاز به يمدحه بأنواع كثيرة، الذين يقتنون تقوى الله تصير لهم سبباً لخيرات جزيلة[١٤] . من ليست عنده مخافة الله سيكون سريع الانصياد لمكائد العدو، ويصير مخزنا للذات ... يتباهى باللذات ويسر بالراحات ويهرب من الشقاء يرفض التواضع ويصافح الكبرياء ، فيجىء الرب ويرسله إلى الظلمة الأبدية .

تبصرت(١٥) كل شىء فلم أجد ماهو أفضل من خشية الله فطوبى لمن أحبها : فقد أحبها يوسف البار فعقد له التاج على مصر . وأحبها موسى العظيم ففلق البحر بعصاه . وتعشقها أطفال حنانيا فأنقذتهم من النار أنها لأشهى بكثير من الذهب وأحلى من الشهد لقد أوغلت فى طلب المال فاذ به يبقى فى الدنى، وتعشقت الجمال فاذ به يفنى فى الهاوية ، وتلمست الأخوة والأحباء فلم يجدونى نفعا . فها إنى أساق إلى الدينونة حيث لا يخلص الأخ أخاه . فياربى نجنى من جهنم فان مجرد ذكره يزعجنى .

---

(١٣) (لو ١٢ : ٣٢ — ٤٨) .

(١٤) عن ميمر «٤٦» قول ٢ ، ٣ .

(١٥) اللآلى المنثورة فى الاقوال المأثورة (من الأدب السريانى) لماراغناطيوس يعقوب الثالث .

صلاة للقديس [١٦]

اليك أتضرع أيها المسيح مخلص العالم كله أنظر إلى وأرحمنى ونجنى من كثرة آثامى فانى قد جحدت سائر الصالحات التى صنعتها معى منذ حداثتى لأنى كنت عادم الفهم فجعلتنى مملوءاً علما وحكمة وتكاثرت على نعمتك فأشبعت جوعى وأرويت عطشى واضأت ذهنى المظلم وجمعت من الضلال أفكارى !

فالآن اسجد واتضرع إلى تعطفك الذى لا يوصف معترفاً بضعفى . لا تغضب على أيها الكلى الصلاح ، ياصورة الآب وياشعاع المجد الذى لا يرى أرحنى من الشهوات فانها كالنار تلهب كليتى وقلبى فخلصنى منها إذ صنعت فى منزلا بظهور صلاحك . . .

أيها السيد المعطى الحياة وحدك أعطنى طلبتى وأحجب آثامى ، ذ كراً عبراتى . . .

لتتراءف على فى تلك الساعة الرهيبة ولتسترنى تحت أجنحة نعمتك .

---

(١٦) من ميمر « ٥ » بتصرف .

وتعطفك الذى لا ينطق به واجعلنى لذلك اللص اليمين مشاركا الذى بكلمته صار وارثاً الفردوس ... فأقترب لتعطفك مجداً لأنك استمعت عبراتى وأيدت أيامى ... نعم يا سيدى الذى بلا خطية وحدك والمتعطف على اسكب على صلاحك الذى لا يوصف ، أعطنى ولكافة الذين يحبونك أن نسجد لمجدك فى ملكوتك ، وإذا تمتعنا بجمالك نقول المجد للآب الذى خلقنا ، المجد للابن الذى خلصنا ، المجد للروح القدس الذى جددنا إلى أبد الدهور كلها

آمين ؟



الفصل الخامس

تبكيت الذات

« اللهم أرحمنى أنا الخاطىء »
(لو ١٨ : ١٣)



فى أحد الأيام نهضت فى دجى الليل وذهبت وكان معى اثنان من الاخوة إلى مدينة الرها[1] .

رفعت عينى إلى السماء فعاينتها مثل مرآة صافية صقلها تتلألأ مع الكواكب اللامعة . . تعجبت كثيراً وقلت إن تكن هذه البرايا تلمع هكذا بمجد عظيم — فالصديقون والقديسون الذين يتبعون مشيئة الإله القدوس كم أولى بهم أن يشرقوا فى تلك الساعة بنور مجد المخلص . وللحين تذكرت مجىء السيد المرهوب فاضطربت عظامى ، وانقطعت عنى قوتى ، وبكيت بوجع قلب ، وقلت بزفرات كيف أوجد أنا الخاطىء فى تلك الساعة الرهيبة ، وكيف سأمثل أمام المجلس الرهيب ! .

كيف أوجد أنا المتنزه مع الكاملين ، كيف أقف أنا الجدى مع الخراف ؟ !

كيف أوجد أنا غير المثمر مع القديسين العاملين ثمار العدل ؟ !

القديسون يعرفون بعضهم فى المواكب السمائية فماذا أصنع وترى من يعرفنى إذ الصديقون فى الخدر السمائى والمنافقون فى النار . . .

---

(١) عن ميمر (١٣) المخطوطة ٢٠٠ ميامر .

الشهداء يرون تعاذيبهم ، والنساك فضائلهم ، فماذا أرى أنا سوى رخاوتى وتهاونى ! .

أيتها النفس الخاطئة والكارهة حياتها دائماً .. إلى متى تجذبك الهموم على الأرض ، وسوء الأفكار ؟ أما علمت أن الأفكار الخبيثة التى لك تصير كسحابة مظلمة قدامك تحجزك عن الوقوف أمام الله وفيما تتوقين تباطؤ مجيئه فإنه يجى عليك كالبرق المفزع ..

أحرص يا نفسي تلك الساعة المخيفة لئلا تبكى هناك إلى أبد الدهر .

لا تصغ بتاتاً إلى هفوات الآخرين وانتحى على زلاتك ، لا تبصرى قط القذى الذى فى عين الأخ والقريب بل تأملى الخشبة التى فى عينيك تأملا متواتراً ، فانزعى أولا الخشبة من عينيك ... وان لم يمكنك فنوحى على عمى بصيرتك ، وكيف تظنين انك تمنحين القريب نوراً ..

صيرى يانفسى طبيباً لذاتك كل ساعة ثم بعد ذلك تستطعين شفاء أخيك السقيم .

ليس لك عذر على توانيك لأن الإله الرحوم قد أعطاك المواهب تمييزاً ، فهماً ، معرفة روحانية ، فاعرفى من الآن ما يوافقك ...

لقد رآنى الاخوان ابكى فقالا لماذا تبكى يا أبانا هكذا بكثرة ؟ !

فقلت لهما ياولدى المحبوبين من أجل خطاياى أنوح على ذاتى لأن الإله الصالح أعطانا إستنارة العلم وأنا أخالف يوماً فيوماً . فمن يكمل مشيئة الرب سيكون مغبوطاً فى تلك الساعة بل وكل الذين يعملون مسرته .

من أجل هذا يا أخوتى ليس لنا هنا معذرة لأننا بمعرفة نخطىء فلنتأمل كلنا تدبير الله وكافة المواهب التى أعطانا ونعمته التى دائماً تتعهد قلوبنا فان وجدت راحة لها تدخل وتسكن النفس كل حين سرمداً ، وان لم تجده نقياً نظيفاً تبتعد عنه للحين . ثم لرأفته يتعهدنا نحن الخاطئين الذين ذهننا متقلباً بل ومسترخين الجسد ، مفتكرين خطايا البعض بأفكار رديئة فنوجد دائماً كطريحين فى حمأة نتنة فى الأفكار . . . فاذا جاءت النعمة تفتقدنا تجد نتانة تلك الأفكار فى قلوبنا فتتنحى وتبتعد إذ لا تجد مدخلا لتسكن فينا ومع هذا لا يمكنها أن تبتعد عنا بالجملة لأن تحننها يضطرها أن ترحم الكل . أرأيت تدبير الله السابق ؟! أرأيت كيف يحبنا الإله القدوس دائماً مريداً خلاصنا ؟ ! فمغبوط ذلك الإنسان الذى يحرص فى كل وقت أن يكون قلبه نقياً نظيفاً للنعمة لكى تجد طيب نسيم الفضائل وطهارة النفس فتسكن فيه إلى أبد الدهر .

ماذا نقدم للاله المتحنن على كافة خيراته ومواهبه إذ نزل من السموات من حضن الآب ومن أجلنا متجسداً من البتول ، وأنه من

أجلنا لطم مثل عبد . فمن اللطمة وحدها ماذا نقصيه . ان عشنا نحن على الأرض ألف سنة ما نستطيع أن نقضى لله ماهو واجب عن نعمته . أنا من هذا أخشى يا ولدى المحبوبين .

أصغى إلى ذاتك(٢) أيتها النفس المؤثرة النسك لئلا تعبر أيامك فى التنزه ، لا تقبلى الأفكار الخبيثة لئلا تضعف قوتك فى حرب العدو . ليكن فى ذهنك دائماً فكر السيد الحلو ليكلل سعى نسكك . حاضرى جهاد نسكك فقد حان الوقت الذى يكلل فية المجاهدون أما المتوانين فيندمون . أقتن الفضيلة مادام يوجد لك زمان صدقاً فى سمعك، كلمات حياة فى لسانك . . وفى قلبك دائماً صورة الرب ، فى أعضائك تقويم العفة . . .

الخشبة تكرم إذا كان فيها صورة ملك مائت فكم بالأكثر تكرم النفس الحاوية الله فى هذا الدهر وفى الآتى ! . .

أصغ أيها الحبيب فالشهوة مائتة أما جسدك فهو حى . فاحذر أن تمنح جسدك الحى ذلك الموت لئلا يقتلك . . . أحضر إلى ذهنك

(٢) عن ميمر (١٢) بتصرف .

النار التى لا تطفأ والدود الذى لا يموت فى الحال تخمد التهاب شهواتك . لئلا تنغلب وتندم . أقتنى صرامه من البداية مقابل كل شهوة ولا تعتاد الهزيمة فى الحرب لئلا تبنى وتنقض كل وقت تخطىء وتندم وتعتاد التراخى فتكون كل حين حزيناً كئيباً فترى قدام الناظرين بورع لكن من داخل فى توبيخ من ضميرك إذ قد ألفتك الشهوة . تحرز من نفسك كل وقت ألا تكون خاليا من المسيح لأن المسيح هو للنفس ختن لا يموت ! لا تترك ختنك الحقيقى لئلا يتركك أنت وإذ تركك ستحب الغريب الذى هو الفاش (العدو) ، وإذا أفنى الانسان نعمته يوجد ممقوتاً منها . . من لا يبكى إذ العدو قد أفنى قوتنا وزماننا فى نجاساته وشهواته الدنسة ولا يحبنا قط أما الله فانه يحبنا دائماً .

فالمجد للآب والابن والروح القدس إلى أبد الدهور آمين .

يا أخوتى لقد قال الكتاب « أعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا[٣] » . فبتوسلاتكم عنى أنجو من الخطايا المصطبغ بها وأصير معافى ، وانهض من سرير الخطايا المفسدة الذى لى منذ طفوليتى ، والآن اسمع عن الدينونة وأتهاون بخطاياى[٤] وجرائمى الكثيرة . . .

---

(٣) (يع ٥ : ١٦) . (٤) عن ميمر «٢» .

أعظ كثيرين أن يبتعدوا عن الأشياء التى لا تنفع وأنا تكمل فىّ مضاعفة . ويلى أى خزى لى ، ويلى لأن باطنى ليس كظاهرى ، ويلى فإن لم تشرق على رأفات الله سريعاً فليس لى بأعمالى رجاء واحد للخلاص . . .

اتكلم عن الطهارة وأعيش فى الدنس ، أقول عن عدم الألم وأعيش فى النجاسة ليلا ونهاراً . فأى عذر لى ؟ !

ويلى أى عذاب قد أعد لى . . فأتقدم إلى الرب الإله العارف مكتومات قلبى أنا المديون بمثل هذه المساوئ ، إنى أجزع أن أقوم للصلاة لئلا تنحدر على نار من السماء فتبيدنى لأن الذين قدموا فى البرية ناراً غريبة خرجت من عند الرب نار فاحرقتهم . . . فماذا يكون لى من عظم ذنوبى ؟ !

. . لكنى أثق برأفات الله وتوسلاتكم عنى فلا تفتروا فى التضرع لأجلى لاعتق من عبودية تلك الآلام فقد عمى قلبى . . وأظلم ذهنى ، وصرت مثل الكلب الذى يعود إلى قيئه فانه ليس لى ذهن نقى ، ولا دموع فى صلاتى ان تنهدت جفت دموع وجهى من الخزى . .

جاهدوا معى يا أخوة فى الصلوات طالبين رأفات الله . ليعطى

أنا العطشان من ينبوع الحياة . . . أنيروا قلبى يامن صرتم أبناء النور أرشدونى أنا الضال إلى الطريق المؤدى إلى الحياة . أدخلونى إلى باب الملك يامن صرتم للملك وارثين . .

فلتدركنى رأفات الله قبل أن تنكشف أعمال الظلمة جهاراً فأى خزى يكون لى عندما يقال لى إنى تركت الطريق الروحانية وخضعت للالام .

لا أريد أن أطيع وأشاء ان اطاع ، لا أريد أن أتعلم وأشاء أن أعلم ، لا أختار أن أتعب وأريد أن أتعب ، لا أريد أن أعمل واشاء أن أحض على العمل ، أريد أن اكرم واشاء أن اكرم ، لا أريد أن أعير واشاء أن أعير ، لا أريد أن احتقر وأشاء ان احتقر ، لا أريد أن يتكبر على أحد وأشاء ان أتكبر على الآخرين ، لا أختار أن أوبخ واشاء أن اوبخ ، لا أريد ان أرحم وأطلب أن يترحم على ، لا أشاء أن اتهم وأريد أن أتهم ، لا أريد أن أظلم وأشاء أن أظلم الآخرين لا أختار أن أضر وأشاء أن الحق الأذى بالآخرين .

ما اشاء أن اسمع وأريد أن يسمع لى ، لا أشاء أن أمجد وأؤثر أن أمجد . . حكيما فى الوعظ لكن لست فى العمل أقول مايجب وأعمل مالا ينبغى ! . .

ابكوا على أيها المحبون النور ، ابكوا على أنا الغريق بالآثام أيها المبغضون الشر ، والمحبون الخير . . ابكوا على أنا الذى تركت العالم بالزى فقط . . ابكوا على أيها المفتنون المحبة الكاملة . إذ أحب قريبى بالأقوال وأبغضه بالأفعال . . ابكوا على أيها المفتنون الصبر أنا الغير صبور ، أيها المشتاقون إلى الآب ابكوا على أنا الفاقد الأدب، ابكوا على أنا الغير مستحق أن أفرس وأبصر علو السماء أيها المفتنون وداعة موسى وأنا أضعتها بإرادتى . أيها المفتنون عفة يوسف وأنا طرحتها . أيها المحبون تمسك دانيال وأنا قد هدمته ، أيها المفتنون صبر أيوب أنا الغريب عنه . ابكوا على يامن ليس لديكم قنية كالرسل ابكوا على أنا الضعيف النفس والجبان يا من حفظتم هيكل الله بلا دنس وأنا قد دنسته . ابكوا على يامن يتذكرون الموت وأنا غير متذكر هذا السفر انكم تتصورون الدينونة التى بعد الموت وأنا أتذكر ضدها . ابكوا على أيها الوارثون ملكوت السموات أنا الذى لم تترك فى الخطية عضواً صحيحاً . .

يا أخوتى ها أنا قد كشفت لكم كلوم نفسى فلا تتوانوا لأجلى أنا المتألم لكن أطلبوا من الطبيب لأجلى أنا السقيم . أطلبوا إلى الراعى من أجل الخروف ، وإلى الملك من أجل الأسير ، وإلى الحياة من أجلى

أنا المائت لأنال الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح ويرسل نعمته من أجل زلق نفسى . . .

لا أزال أعمى واروم أن أرشد العميان . لذا فأنا محتاج إلى صلوات كثيرة حتى أعرف قدرى ! . ليضىء قلبى المظلم ، وتسكن فى عومن الجهالة تلك المعرفة الإلهية إذ لايصعب على الله ذلك فكلما شق لشعبه طريقاً فى البحر ، وأمطر عليهم المن وأعطاهم السلوى كرمل البحر ومن صخرة روى عطشهم . . . فما يستطيع أحد أن يشفى أوجاع نفسى إلا هو إذ يعرف أعماق قلبى كم مرة بنيت حيطان بينى وبين الخطية لكن هدمت إذ لم تؤسس على التوبة الخالصة ، فلذلك أقرع الآن ليفتح لى . . إنى أطلب من صلاحك صفحاً عن أعمالى . . يارب جردنى عن كل فعل خبيث لكى أجد نعمة أمامك فى ساعة الوفاة لأنه ليس فى الجحيم من يسبحك . .

أطوب حياتكم أيها المحبون المسيح لأنها حسنة هى الدالة وويلى لأن سيرتى عاطلة وغير نافعة [٥] . أغبطكم ياخدام المسيح المخلصين لأنكم بسيرتكم المستقيمة جعلتم ذاتكم أحباء الله والملائكة .

---

(٥) عن ميمر «٤٦» .

من لا ينوح على؟ لأنى أغظت الله بأعمالى الباطلة . مغبوطون أنتم الذين قد ورثتم الفردوس بسيرتكم النقية و بمحبتكم . . إنى متعجب منكم كيف ما عجزتم عن مسير مسافة هذا الطريق من أجل مايوافق أنفسكم وماهو أعجب من هذا انكم جئتم إلى واحد حقير ومشجوب بالخطايا طالبين منه كلام منفعة انى أعجب بالحقيقة كيف جئتم أنتم الشباعى إلى الجائع ؟ كيف اقبلتم أنتم أصحاب الندى الروحانى إلى المتعطش ؟ كيف أنتم المالكون حلاوة الفضائل جئتم إلى المتمرغ بالخطايا ؟ كيف يأتى الاغنياء إلى الفقير ؟ . كيف يقبل الحكماء إلى الجاهل ؟ كيف جاء الاطهار إلى الدنس ؟ كيف جاء الاصحاء إلى المريض ؟ . كيف ورد الذين يرضون الله إلى من يغضبه ؟ كيف جاء الأحرار إلى المأسور ، كيف أقبل المهتمون بالخلاص إلى المتوانى ؟ .

أنتم بالفضائل أرضيتم الله وأنا بجهلى وأهمالى ادان ، أنتم بالاعمال الحسنة وبالطهارة صرتم طيباً للمسيح ! . وأنا بشرورى صرت بكليتى نتانة كريهة . . أقبلتم إلى أيها المحبون المسيح مريدين أن تعضدوا رخاوتى وتجعلوا نفسى المتوانية مهتمة وحريصة وتشجعون صغر نفسى لانكم كاملون فى الفضيلة فاذ قد التمستم بتواضع أن تقتبسوا منى أنا الناقص كلام منفعة ! وأمرتمونى بهذا . . فاننى فى خزى أتكلم :

فإن بدات أشير عليكم فإنما أدين نفسى ، وان ابتدأت أوبخ آخرين فإنما أثلب ذاتى لان المخلص يقول أيها الطبيب اشفى ذاتك وقال أيضاً « كل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون[٦] »

فلذلك ان كنت دنساً لكننى أشير عليكم رأياً مستقيماً . فاذا أطوب كل من فى هذه السيرة الملائكية وازداد فيها إذ من لا يغبط الذى فى تلك السيرة والمتصرف بالطهارة من أجل الخيرات العتيدة التى لاتحصى ومن لاينوح على التوانى إذ من أجل أمر حقير يلقى خارج ملكوت السموات ولجدب أعمال الخير عنده يخرج عن الخدر السمائى .

كم هى طول أناة الله(٧) ..أنه يذم ويثلب فيحتمل بتمهل وما يسخط، يستهان به فلا يحقد ، بل يمنحنا بكثرة كل الخيرات ويرحم لأنه يريد أن يوصلنا كلنا إلى التوبة لأنه صانع الخيرات !

ماذا أصنع أنا الخاطىء لاننى تراب والماد ولا يمكننى أن أحتمل شيئاً بل ولا أشاء أن أحتمل كلمة أخى . لاننى إذ لا اكرم أغتاظ وإذا اكرمت تشامخت . . ويلى ويلى أنا الخاطى ! . .

---

(٦) مت (٢٣ : ٣). (٧) عن ميمر ٤٢ قول ٨٦ .

أيها الابن الوحيد الجنس ياشعاع الآب . الساكن فى النور(٨) الذى لا يدنى منه والذى لا يدرك ، المنير بنعمتك كافة المسكونة . . أضىء عقلنا المظلم لانه مثل غرس جديد يحتاج إلى سق الماء دائماً . . كلمتك يارب فتحت عينى المولود أعمى ، وحين أبصر بعينيه الجسدانية أضاء ذهنه للحين ليشيد بلا خوف عن طبيبه فإنه إله الـكل . أضىء أعين قلوبنا فنحبك أيها السيد ونكمل بشوق مشيئتك دائماً فها هى كأس دمك الرهيب موعبة ناراً وحياة فهبها لنا للاستنارة ولنتقدم لها بإيمان وشوق وقداسة ليصير لنا تمعيناً لخطايانا لا للادانة . . إذ يشجب ذاته من لم ينظف نفسه ليقبل الملك فى حجلته .

النفس عروس المسيح المقدسة للختن الذى لا يموت ، والعرس هو الاسرار الإلهية فلتكن مشتاقاً أن تقبل الختن السمائى لـكيما فى يوم مجيئه يصنع لك منزلا عند أبيه ويكون مديحك كثيراً أمام رؤساء الملائكة والملائكة والقديسين . . .

أيها الاخ ماذا يلتمس الله منك سوى خلاصك ؟ ! . .

فان لم تشأ أن تكمل وصاياه فانك تقتل نفسك وتخرج ذاتك من

---

(٨) عن ميمر «١٧» .

الخدر السمائى ... أنه لم يشفق على ابنه الوحيد الذى بلا خطية وحده، وأنت يا شقى ما ترحم ذاتك . استيقظ من نومك قليلا يا مسكين ، أفتح فمك مستغيثاً به ، اطرح عنك ثقل خطاياك ، أرحم نفسك ، تضرع بمداومة ، ابك كثيراً .. اهرب من الاسترخاء ، أمقت الخبث أرفض الرذيلة ، حب الوداعة ، ادرس التسبيح . أحرص أيها الاخ مادام يوجد وقت .

حب الله من كل نفسك كما أحبك هو ، صر هيكلا لله فيسكن فيك فان النفس الحاوية الله هى هيكل الله المقدس ... تصير مجداً للاهوت وتتبادر دائماً إلى افتقادها مواكب الذين لا أجسام لهم فمنذ يسكن الرب فى النفس فالملائكة السمائيون يبتهجون بها ويحرصون دائماً أن يكرموا تلك النفس لانها هيكل سيدهم ! .

تعالوا يا أخوتى المباركين وأسمعوا فنفسى توجعنى(٩) وجوانحى تؤلمنى أين هى الدموع ، أين التخشع ؟ حتى يحمى جسمى بالدموع والزفرات ، من ينقلنى إلى مكان غير مسكون حيث لا يوجد البتة صوت البشر ، وحيث يسكون الصمت ، حيث يوجد إنسان يعوق البكاء ويقطع الدموع ..

---

(٩) عن ميمر «١٤» .

فأرفع صوتى وابكى لدى الإله بعبرات مرة وأقول بزفرات : أشفنى يارب فأبرأ لأن قلبى من الافراط يوجعنى ، إذ أعاين ياسيدى قديسيك كذهب منتخب وهكذا تأخذهم من العالم الباطل إلى نياح الحياة بمنزلة الفلاح إذا رأى الثمار بلغت أوانها فيسارع إلى قطفها لئلا تتلف من عوارض الفساد فهكذا أنت أيها المخلص تجمع العاملين البر ، ونحن الذين فى تهاوننا وقساوتنا مازال ثمرنا لم يتغير ، إذ لن نبلغ حسنا الأعمال الصالحة ونقطف إلى مخازن الحياة فالثمر الذى لنا ليست له دموع تصل به إلى اكتماله ، ولاتخشع البتة لتتباهى نضارته من نسيم العبرات ، ولا تواضع أصلا ليظلل فوقه من شدة الحر ، ولاترك قنية لتنتقل من الأمور المضادة ، ولا محبة الله القوية الحاملة الثمار ، ولاعدم الاهتمام بالأمور الأرضية ، ولا سهر ، ولاعقل متيقظ فى الصلاة . . .

إذ عوض هذه الفضائل الصالحة يوجد ماهو ضدها حقد ، وغضب يعوقان الثمر لئلا ينمو فينتفع به ، وضجر عظيم . . هذه كلها كيف تترك الثمر ينمو ويكتمل كما يليق ؟ ! .

ويلى ويلى يانفسى تكلمى وابكى إذ أين الآباء النساك الأبرار ، هم الآباء الكاملين ؟ .

أين هم القديسون ؟ أين المتيقظون ؟ أين الساهرون ؟

أين المتواضعون ؟ أين الودعاء ؟ أين الصامتون والذين في السكوت؟

أين الورعون والعادمون القنية ؟ أين المتخشعون الذين أرضوا الرب؟

أين الذين كانوا فى الصلاة النقية قدام الله كملائكه منيرين ؟

أين الباكون بخشوع ؟ أين الذين حملوا صليبهم وتبعوا المخلص وسلكوا ذلك الطريق الضيق ، بل وسلكوا طريق الحق . طريق وصايا الرب وخدموا الله بسيرة حسنة ؟ .

لقد أحبهم الله جداً وضمهم إلى ميناء الحياة والفرح الخالد ليتنعموا هناك فى فردوس النعيم إذ بفرح عظيم ساروا إلى الإله القدوس ومعهم مصابيحهم مضيئة . . .

ليس فينا فضيلة مثل أولئك . . بل ولا نحتمل بعضنا البعض إذ ألسنتنا محماه على بعضنا ، كلنا نلتمس الكرامة ، نؤثر التشريف ، نبتغى الراحة ، نحب القنيه ، غير مثابرين فى الصلوات ، غير خاضعين، ضعفاء فى السكوت ، نشيطين فى التنعم ، باردين فى المحبة ، حارين فى الغضب ، عاجزين عن الصالحات ، وحريصين فى السيئات . . .

ترى من لا ينتحب ومن لا يبكى على محبتنا الرخوة . لقد كان

آباؤنا مرآة صافية للناظرين بل وكانوا يبتهلون إلى الله من أجل أناس كثيرين .

ويلى ويلى يا نفسى فى أى زمان أنت ، وإلى أية حمأة قد بلغتنى ؟ .

وأى عذر يكون لنا أمام الله من أجل توانينا فى خلاصنا إن لم نحرص الآن ونبكى بشدة ونتوب حسناً بتواضع نفسى ووداعة كثيرة . ليقل كل واحد منا بدموع غزيرة ويلى أنا الخاطىء ماذا دهمنى بغتة ، كيف عبر عمر رخاوتى ؟ ، وكيف أنا الغبى سرق زمانى ؟ أين تلك الأيام التى قضيتها ؟ وماذا أنتفع من كثرة هذه الأقوال إذا رأينا القديسين يأتون بمجد فى السحب لملاقاة الرب ملك المجد ، أما نحن فنكون فى ضيقه عظيمه . ترى من يستطيع أن يحتمل ذلك الخزى والتعيير ! .

فلنستيقظ وننهض يا أخوتى أحباء الله ، ولنجمع أفكارنا قليلا من هذا العلم الباطل ، ونجثو أمام الله بعبرات غزيرة متضرعين بزفرات القلب لينجينا من العذاب المر ، ولكى لا نفارق السيد الحبيب الذى بذل ذاته للصلب من أجلنا ، وأنا الغير المستحق والخاطىء أتضرع اليكم أن تسكبوا من أجلى دموعاً فى صلواتكم وطلباتكم النقية

طالبين لأجلى لا تخشع ويستضىء قليلا قلبى الأعمى، كما أطلب إلى الإله القدوس لكيما يعطيني نشاطاً قليلا مع حرص فأتوب مادام يوجد وقت مقبول للدموع أنا غير المستحق الحياة أطلب اليكم أن تقبلوا إستغاثة افرآم الخاطىء أخيكم المسترخى، ولنحرص كلنا أن نطلب غفران الإله القدوس لأن الرب واقف على الأبواب ليصنع إنقضاء العالم الباطل .

له السبح والمجد الدائم إلى الأبد آمين ؟

أنت إنسان تراب الأرض[١٠] ، طين ، قريب لكل ماهو أرضى وحقير ، أبن للجنس الحيوانى . إذا كنت لاتعرف كرامتك فاعزل ذاتك عن الحيوانات بالأعمال لا بالأقوال ، إذا كنت ولوعاً بالسخرية فأنت لاتختلف عن الشيطان وعندما تهزأ من قريبك فأنت فم إبليس .

إذا كنت تسر بالضعفات والخطايا بألفاظ جارحة فالشيطان لم يعد له مكان فى الخليقة لانك قد أغتصبت مكانه عنوة . أهرب من هذا

---

(١٠) مترجم عن: The Writings of Niciene & post Niciene fathers vol 13 page 331,333.

يا إنسان لأن هذا أمر ضار ومؤذ ، وإذا أردت أن تحيا حسناً فلا تجلس مع المستهزئين لئلا تشترك معهم فى خطيتهم وفى عقوبتهم ، عليك أن تبغض السخرية حتى تصل إلى البكاء ، وأرفض الطرب حتى تقتنى طهارة النفس ، وإذا صادف أن سمعت ساخراً على غير إرادتك فارسم على نفسك علامة صليب النور وأهرب عاجلا من هناك كالظبى لأنه حيث يسكن الشيطان لا يمكن أن يسكن المسيح أو الانسان الذى يسخر من قريبه إنما يفسح مكاناً رحباً لسكنى الشيطان ، ويصبح قلبه قلعة لإبليس ولا يحتاج الشيطان إلى إضافة أى خطية أخرى لمثل هذا لأن السخرية فى ذاتها كافية أن تفتح المصراع للجميع . . . فبسبب ضحك هذا الساخر يحزن البائس والمسكين وهو لا يعلم ذلك ولا يدركه . جرحه لا يندمل وعلته لاشفاء لها . وألمه بلا دواء وضربته لا تقبل العلاج . ليست بى حاجة أن أجعل لسانى فى توبيخ مثل هذا الانسان فيكفيه عاره المخجل وتكفيه جرأته الوقحة . طوبى لمن لا يسمعه ولمن لا يعرفه . . فهذا الشرير خميراً لإبليس .

لا تغضب إنساناً لئلا يلقبونك بالشيطان فان كنت تكرة مجرد الاسم فلا تقترب من ذات الفعل ، أما إذا كنت تحب هذا التصرف فلا تغضب من هذا اللقب . أنظر إلى الطيور ووبخ نفسك أولا مما

تراه فيها فكل نوع يلتصق بجنسه ومنها تتعلم أن تتفق مع رفيقك فى النير ، ولا تبتهج بما يصيب الناس من المهانة حتى لا تكون أنت نفسك شيطاناً فاذا حدث شر لمن يبغضك فلا تفرح لئلا تخطىء فان سقط عدوك فتألم من أجله واحزن .

أحفظ قلبك حتى لا يخطىء داخلياً (١ م ٤ : ٢٣)لأن كل أفكار الإنسان وأفعاله سوف تعلن أمام الجميع . سخر يديك فى العمل ودع قلبك يهذى بالصلاة ، اياك أن تحب الأحاديث البطالة لأن الحديث النافع يبنى الجسد والروح ويخفف من عب عملك .

بالنسبة للبار والمستقيم تصبح التجارب عوامل مساعدة ، لقد انتصر [11] أيوب على التجارب بالتميز والحكمة . لقد حل عليه المرض فلم يئن أو يشك . لقد أقضت العلة مضجعة ولم يتذمر ، ذبل جسده وتداعت قواه ولكن إرادته الصالحة لم تضعف ، لقد أثبت كماله فى كل آلامه على قدر ما عجزت التجارب عن سحقه ، كان إبراهيم غريباً عن وطنه وبيته وأقاربه ولكن لم يصبه أذى بل لعل هذا عزز انتصاره فى جهاده ، وهكذا يوسف فى بيت العبودية انتقل ليحكم كملك مصر .

---

(١١) عن المرجع السابق« page 336 — 335 » .

تأمل الذين رافقوا دانيال وحنانيا ، خلصوا آخرين من العبودية ...
تأمل أيها الحكيم القوة التى تمتلكها الحرية لا شيء يستطيع أن يصيبها بأذى مالم تضعف الإرادة .

أتخم اسرائيل بحياة الترف والمتعة فترك عهده مع الله ونسيه (تث ٣٢ : ١٥) فقدم عبادته لآلهة كاذبة ، ونسى طبيعة خالقته ، نسى أيام عبوديته فى مصر عندما استراح السبت فى البرية ، كلما حاصرته الضيقات عندئذ فقط كان يعترف بالرب الإله ولكن عندما يسكن أرض الراحة كان ينسى الرب مخلصه ، لا تلتمس الراحة فى هذا العالم لأن هنا أرض الشقاء . وإذا كنت حكيما فلاتستبدل زمانا بزمان ، « لاتستبدل الحياة الباقية (الأبدية) بالفانية ، » لا تستبدل الأبدية بالزمنية ، ولا الحق بالكذب ، ولا الجسم بالظل ولا اليقظة بنوم الغفلة ، ولااللائق بما لا يليق ، ولا الدهر بالأزمنة .

أجمع ذهنك ولاتدع فكرك يطيش فى أمور مختلفه لاتفيد .

لايوجد فى الخليقة غنى إلا من هو يخاف الله ، والفقير الحقيقى هو من لايملك الحق ما أشد حاجة الإنسان وفقره ، حتى أنه يلتمس حاجته من المنبوذين والفقراء ، وسوف تكون حاجته هذه شاهداً

ضده ، أنه مستعبد حقاً وكثيرون يسودون عليه ، مستعبد للمال ، والثروة والمقتنيات سادته تنعدم فيهم الرحمة ، لأنهم لا يسمحون له بالراحة . أهرب من هذا العناء والتمس حياة الفقر لأنها تحنو عليك كما تحنو الأم على وحيدها ، تحصن بالحاجة والعوز لأنه يطعم صغاره بالأشياء المختارة ، إن نيره هين ولطيف ، ويلذ تذكاره لحلقك . مرضى الضمائر وحدهم هم الذين يرفضون جرعة الفقر ، ضعاف القلوب هم الذين يجزعون من نير العوز الشريف ، من الذى أعطاك يا ابن الإنسان أن تجد راحة فى العالم ؟ من الذى أعطاك ياوليد التراب أن تكون غنياً فى وسط الفقر ؟ ! لا تكن حاجتك وهمومك وتطلعك للاخرين بسبب الميول والرغبات يكفيك طعام يومك الذى تكسبه بعرق جبينك ، ليكن هذا هو مقياس احتياجك . . فاذا دعيت إلى وليمة فلا تأكل منها إلا على قدر حاجتك ، ولا تأكل فى يوم طعام أيام لأن البطن لا تدخر طعاماً بل سبح الله وأشكره .

عندما تشبع حتى لا تغضب واهب العطية شدد نفسك فى الطهارة حتى تكسب من ورائها نفعاً . فى كل شىء اشكره وسبحه كفادى نفسك حتى يعطيك حسب نعمته أن تسمع وتعمل مشيئته المقدسة .

وإذ قدمت اليك مشورة الحياة فلا تتغافل عنها . لقد كتبت لك

ما كتبت مما أخذته من تعاليم الآخرين ، فاياك أن تحتقر كلماتهم وإذ سبقت فى الرحيل فاذكرنى فى صلاتك فى كل وقت .

صل وتضرع حتى تستمر محبتنا صادقة . أما بالنسبة لنا فيما يختص بهذه الأمور فلنقدم السبح والكرامة للاب والابن والروح القدس الآن وإلى الأبد . آمين .



صلاة للقديس (١)

إن حبك ياسيدى يسرى فى قلبى كما تسرى النار فى الحطب فتأكل من قلبى كل خبيث وتحرق كل نجس ، إذاً فأعطنى ياسيدى بسماحة وبلا كيل حسب وعدك وكما يليق أن يعطيه إله لانسان وأب حنون لابن مسكين ، وان كنت غدرت وخالفت ولازلت أخالف فأنا ترابى وإبن ترابى فارغ فاملأنى كما ملأت أجران الماء من الحياة ، جائع فاشبعنى كما أشبعت خمسة آلاف من خبز البركة ، يامن قبلت فلس الأرملة أقبل شحيح طلبتى . . لاصير بنعمك هيكلا لك فتسكن فى وتستريح معى فتعلمنى كيف أرضيك وابتهج بك . . . استشفع اليك يا رب بصلوات الذين أرضوك أن يكون لى أنا الصغير والحقير بينهم نصيباً فى مجد أقدمه لك وتسبيح لا يهدأ . . ، قد فتح عبدك فمه مع قلبه فاملأهما بنعمتك لأن الكل يسبح بمجدك فان كان الهواء يمرق متباهياً بخفته والطير يخطر متعجباً بنغماته فهذا من قبل مجد حكمتك . . وان كانت الارض تزهو بحلة الازهار الرائعة فهذا لم تنسجه يد بشر ولكنها

---

(١) عن كتاب السبع طلبات لمشاهير قديسى الكنيسة — دير السريان ص ١١٢ — ١١٩ .

أصابعك يارب الجمال ! وان كان البحر يزهو بامتلائه لخير السائرين علية فليس من كف تصب فيه ولكنها عناية السماء يارب البركة ، وان كانت الارض أخرجت زرعاً فما الزرع بمستطيع من ذاته أن يخرج الثمر ولكنه افتقاد خيريتك !

أمطر يارب على قلبي من بركتك فينمو زرع الفضيلة فى قلبي وتعهده بالمراحم ليخرج ثمر البر برحمتك ، وكما تزدان أعشاب الحقل بجمال الزهر زين نفسى الموحشة بأزهار الطاعة والتواضع والمحبة والصبر .

وماذا أقول وقد أعجزنى القول ! ها هى صلاتى ضعيفة أقدمها ومن أمامى وخلفى أجر ثقل آثامى .

الويل لى أنا الخاطىء الكسلان المتوانى الذى وصلت إلى مثل هذه السيرة الردية . ها أخوانى قد تزينوا بالفضائل ويتقون الله بالحقيقة وأنا عارى منها ، أندم الامس على ما فرط منى وأكمل اليوم أقبح منها . وهب لى الرب حياة وعافية ولكن بدل أن أمجده بهما أخطىء إليه . . . فحتى متى أتوانى وإلى متى أتهاون وكيف لا أعرف ضعفى وإلى متى أقاوم الذى خلقنى . أطعت الشيطان حتى صرت عدو الملائكة وعاراً عندهم . . .

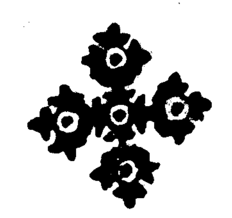
إلى من اشتكى من ذا الذى يرضى ليبكى على أنا الشقى . عدوى أوقفنى مجرداً بسبب توانى وكسلى ملأ بطنى شهوة وسد عينى بالنوم حتى جعلنى غريباً عن القناعة غريباً عن السهر والصلاة ، غرس فى قلبى محبة الفضة حتى ألهانى عن نفسى فجفت دموعى وغلظ قلبى وتحايل على حتى فصلنى عن الطاعة التى بالمسيح وجعلنى بطالا حسوداً معاتباً نماماً منافقاً . محباً للغلبة ، أخفى عنى الخشبة الطويلة التى فى عينى وكشف لى عن القذى الصغير الذى فى عيون الناس حتى صرت باراً أمام نفسى وصار كل الناس أمامى مدانين يشير على أن أخفى أفكار قلبى وإذا سقط أخى فى هفوة يحركنى لألومه وأفضحه ويجعلنى أنسى كل شىء واتذكرها . دربنى كل يوم كيف اكون غضوباً متكبراً شرهاً محباً للذة أشبع واسكر منها وأنا عالم بنجاستها وعقابها ...

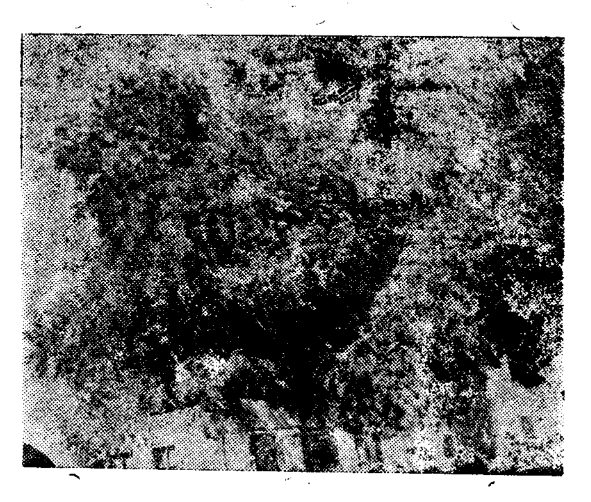
خسارة نفسى جعلها عندى فوائد ، صيرنى مهذاراً ردياً أقرأ وأرتل بلا خشوع أو ورع .. حتى انى أصلى ولا أعرف ماذا أقول .

مراراً كثيراً وعظت من رجال قديسين وكنت دائماً أخالف مشورتهم ... ويحى متى أرجع إلى ذاتى وعلى من أعتمد بعد أن اسخطت إلهى الذى خلقنى وانكرت نعمة الذى يسترنى برحمته كل يوم ...

أعطنى قوة يارب أهرب بها من عدوى الذى ربطنى بأعماله الردية التى انغرست فى نفسى فانه كذاب وأبو الكذاب وهو قتال للناس منذ البدء لايشفق على من يطيعه بل يسرقه إلى الهلاك ...

أسجد الآن بين يديك يارب القوة والمجد معترفاً بخطاياى . . إذ انك تقبل كل من يقبل اليك لأنك محب للناس .

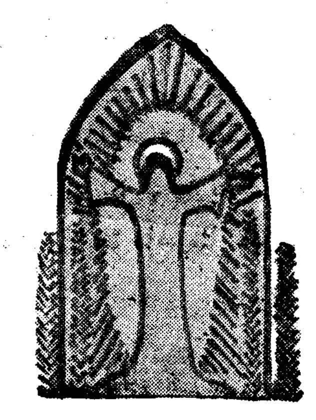




شجرة القديس العظيم مار أفرآم السريانى
الـكائنة بدير السيدة العذراء ـــ السريان

الفصل السادس

الرجاء



«أما منتظروا الرب فيجددون قوة
يرفعون أجنحة كالنسور يركضون
ولا يتعبون يمشون ولا يعيون»
(أش ٤٠ : ٣١)

+ أيها السيد القدوس أن نفسى حزينة وقد تقدمت إليك [١] متضرعة أن تنقذها من العدو ، وساجدة لك بتواضع صارخة إليك من أجل ذلك الذى يحزنها ، وإذ قد لجأت إليك بشوق تعهدها فإنك إن أعرضت عنها هلكت ، إن تفقدتها من أجل رأفاتك فقد ظفرت إن اقبلت إليها خلصت ، إن استجبت لها ثبتت فايقظ غيرتها لانها خطيبتك كما يقول بولس الرسول « فأنى أغار عليكم غيرة الله لانى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » [٢]

أيها السيد أدبنى برأفاتك ولاتسلمنى إلى يد العدو . . إننى لست أعرف آخر سواك . نعمة شفتيك لاتحصى أنها تمنح الشفاء لكافة الذين يقبلون إليك جراحاتى تشفى برأفاتك دائما ثم يعاودها الألم من من أجل تهاونى ، ألس الطبيب وقت صحتى فينسانى وقت مرضى . لاانس إنك تحتملنى من أجل تحننك ، فالأم إذا أطرفها طفلها لاتحتمل أن تبتعد عنه إذ تغلب من تحننها وكذا الطير فى كل ساعة يفتقد صغاره بالطعام وبتعب يغذيهم . فإن تكن هذه التى لانطق لها مثل هذا التحنن فكم بالحرى تحننك

---

(١) عن ميمر « ١٦ » المخطوطة ٢٠٠ ميامر / دير السريان
(٢) (٢ كو ١١ : ٢)

ها عين الماء تنبع دائما بلا انقطاع وتمنح المقبلين إليها الماء مجاناً ، وبلا حسد وغير محتاجة إلى مديح بنى البشر ! . وها عين لجه رأفاتك تبدو للسمائيين والأرضيين مدبراً كل نفس ، وأنت غير محتاج إلى مديح ، وتمجيد سائر البرايا لأنك ممجد بجوهر عظمتك وجلال مجدك الدائم ومحبتك نافعه دائما لخلاصنا ، وبسابق علمك تعرف المقبل إليك فقبل إن يصل إلى الباب تفتح له ، قبل أن يجثو ساجداً تقبله ، وقبل أن ينبع دموعاً تتقاطر عليه رأفاتك ، يعترف عن أثامه فتعطيه الغفران ولاتذكر له مامضى من توانيه . .

تبصر التواضع والبكاء وخشوع القلب فتهتف أخرجوا الحلة الأولى ، والبسوه إياها ، إذبحو العجل المسمن ولتفرح الملائكه أيضاً معنا[٣] . .

هكذا بنعمتك تقبل الذى يقبل إليك لأنك تتوق أن تبصر الدموع وتعطش إلى معاينة التوبة وتسر بحرص الحرصيين أن يتوبوا . .

كما تقدم التلاميذ وهم سائرين فى البحر وايقظوك وبصوتك

---

(٣) (لو ١٥ : ١٢ — ٣٢) ـ الابن الضال .

المبارك هدأت الرياح . هكذا استجب لعبراتى فإنها نهارا وليلا !

الأطباء تعبوا أثنى عشر عاماً ولم يشفوا نازفة الدم . أما أنت فمنحتها الشفاء إذ تقدمت ولمست(٤) هدب ثوبك فارح نفسى الحزينة من تعيير العدو أيها الطبيب المتحنن الذى صنعت الصلح بين السماء والأرض .

أنت غير المائت قدمت لأجلنا بل وصابرت على كل شىء لذا تلغى نحن بلا عذر ! ياسيدى إنى بنفس حزينة أصرخ واتضرع إليك من أجل عدوى . فانظر ياسيدى وازجر هؤلاء المجربين فإنهم فى كل ساعة يسرقوننى ولا أعلم يذهوننى ولا تخشع . ويمنعوننى عن الاستغاثه بك لإنهم عرفوا إنى أهتف إليك بدموعى . إن فرح هذا العالم يعطى حزناً أما الحزن والتنهد يسبب سروراً وحياة أبدية ! . .

أيها السيد إنى كل حين مريض لكن نعمتك تمنحنى الشفاء مجانا هناك أناس فى مصارعتهم ينهزمون وأناس يكللون وأناس بحياة مريرة يتذوقون حلاوة الحياة الأبدية وقوم أخرون بحياة الرخاء يكتسبون مرارة العذاب الأبدى .

---

(٤) (مت ٩ : ٢٠ — ٢٢)

الذين يحبون الله بكل قلوبهم محاربته ليست لديهم شيئا ، أما الذين يحبون العالم فمحاربته عندهم بصعوبة ولا يحتملونها . .

مغبوطون بالحقيقة هم الذين يحتقرون أشياء العالم ، ومغبوطون هم الذين يبكون نهاراً وليلا لينجوا من الرجز الآتى .

الطوبى للذين يضيعون ذاتهم بارادتهم فإنهم يرفعون الطوبى للمساكين فإن نعيم الفردوس ينتظرهم . . .

الطوبى الذين يتعبون أجسادهم بلاسهار وكثره النسك فإن ابتهاج الفردوس معد لهم ..

الطوبى للذين صارا فى طاعه هيكلا للروح القدس ، الطوبى للذين صلبوا ذواتهم . الطوبى للذين منطقوا احقاءهم بالحق ولهم مصابيح معدة يتوقعون عريسهم مغبوط المقتنى أعيناً عقلية لمعاينة النصيب الابدى .

الطوبى لمن نظر إلى تلك الساعة الرهيبة دائما ، الطوبى لمن صار على الأرض بلا أو جاع ليصير كالملائكة ويتفطن أسرار العلى وينطق بها ويعمل ويتجر فيربح غير مهتم باللذات والشهوات .

ليكن لنا دائماً فكر أقوال الرب والملائكة الرؤساء والشاروبيم والسارافيم والآباء والرسل والشهداء والقديسين وكافة البرايا التى لها ذلك بنعمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح دائماً .

+ لك أجثو ساجداً أيها الرب يسوع المسيح[٥] ابن الله الحى . أعطنى ولكافة الذين يحبونك أن نعاينك بمجد فى ملكك ونرث مع كافة الذين أحبونك وتاقوا إليك أيها السيد الرب .

يا أحبائى أن توانينا واضطجعنا فى هذا الزمان اليسير فلايكون لنا دالة فى ذلك اليوم إذ ليس لنا عذر عن خطايانا . . .

أنه منذ أن نزل الينا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح انتزع عنا كل عذر لأنه وهب لنا حين جاء تلك الحياة الأبدية .

كنا أعداء فصالحنا ، أرضيين فصرنا سمائيين ، مائتين فدعينا غير مائتين بنى الظلمه فصرنا بنى النور ، عبيداً للخطية فحررنا ، مساكين فصرنا أغنياء ، تائهين فأرشدنا ، ممقوتين فأحببنا ، ظالمين وكينا ، غير مرحومين فرحمنا ، خاطئين فخلصنا ، لقد كنا تراباً ورماداً فصرنا

---

(٥) عن ميمر «١، ٢»

أبناء الله ، عراة فسترنا وصيرنا وارثين معه نظير ابنه فى الميراث الأبدى . .

هذه العطايا والنعم وهبها لنا ربنا فماذا نكافئة عنها يا أحبائى ؟ .
هلموا فلنطرح عنا كل أعتناء واهتمام هذا العالم الباطل وتخدمه بحرص ونشاط فهاجيئة قد حان بالحقيقه تعالوا ياأخوتى لنستيقظ منتظرين ربنا الختن الذى لا يموت . . فها قد انتهى الليل واقبل النهار فيابنى النور بادروا إلى النور وأخرجوا إلى استقباله بفرح ، أروه فضائلكم قدموا انسككم وامساككم ، اسهاركم ، أتعابكم ، دموعكم ، زهدكم ، لاترقدوا ولاينظر أحدكم إلى الوراء . بل ليكن نظركم إلى العلى إلى ذلك الجمال السمائى لنتأمل ذلك الفرح الذى لا ينتهى ، والذى لاتشبع نفوسكم من معاينة مجده وبهائه وحسنه .

من يجوع فليصبر لأن مائدة الملكوت تنتظره ، ومن يعطش فليثبت فها نعيم الفردوس قد أعد له . من يسهر ويصلى ويسبح ويبكى فليتأيد فإن سرور ربه يعزيه ، وكل واحد منا فى ذلك اليوم سيرى أية فضيلة قد اقتناها من ههنا أو أى أتعاب صبر عليها ..

فاذا أشهر الشهداء تعاذيبهم والنساك الشجعان نسكهم .. فالمضطجعون بماذا يفخرون هل بتوانيهم وهلاكهم ؟ .

أنى أخشى يا اخوتى أن يتم فينا ذلك القول أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية [٦] .

فهلمو نسجد ونبكى وننوح أمامه بشدة ليعطينا استنارة النفس فنعرف حيل عدونا ، إذ يجعل أمامنا العثرات ، واللذات ، وطول زمان هذه الحياة الحاضرة ، وجزعا عن النسك ، وعجزاً عن الصلوات ، وبمقدار ما يحرص على هذا نحرص نحن على التوانى والتهاون . انعلم أن ايامنا قصرت ، والوقت قد قرب ، ورب المجد سيجىء فى مجد بهائه وقوات ملكة الرهيبة فيجازى كل واحد كنحو اعماله .. فيارب لاتجازبنى نظير أعمالى بل خلصنى بنعمتك وترآف على بتحننك فأنك أنت الممجد إلى أبد الدهور آمين .

+ جرحت فلا تيأس لأن المجاهد مراراً كثيرة يسقط ويقوم

---

(٦) (مت ٨ : ١١ — ١٢)

مـكاللا [٧] أنهضى ، تشجعى يانفسو قولى منذ الآن بدأت لاتليق فى الهفوات لئلا تدفعى طعاماً للطيور والوحوش، اخضعى متضرعه بخطاياك إذا أردت الدخول إلى ملك الكل فإنه لا يطلب هدية فهو محب للناس فتقدم بضمير نقى إذ قبل أن تفتح فمك قد تقدم فعرف نتائج قلبك فلا تكتم الالم لأنه طبيب يرثى للكل . شفى المريض المؤمن بكلمة إذ قال له قم أحمل سريرك وامش ففى الحال قام ومش ، شفى الأبرص وأقلم العازر من الموت بعد أربعة أيام . . وهكذا أعمال الله لاتحصى .

لقد قال إذا كنتم اشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه [٨] ، فتقدم معترفاً بخطاياك قائلا ، إنى قد أخطأت فى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن ادعى لك أبنا [٩]

لست مستحقاً أن أسمى اسمك المجيد بشفتى الخاطئة ، يارب اتضرع إليك أن لا تبتعد عنى إذ لولا يدك تسترنى لكنت هلكت اعضدنى

---

(٧) عن ميمر (٢٨)   (٨) (لو ١١: ١٣).

(٩) (لو ١٥ : ٢١) .

أنا الضال . . ترآف على كالعشار ، وكالص اليمين إذ وهبت له الفردوس يارب أنك قد جئت لا لتدعو ابراراً بل خطاة إلى التوبة[١٠]

أيها الحبيب لتستقم صلاتك كالبخور قدام الله ولتسمع قوله عظيم هو إيمانك . . وليقيمنا معه لأن له المجد والاكرام والسجود الدائم إلى الأبد .

+ قيل أنصتي ايتها السموت فاتكلم ولتسمع الأرض أقوال فمي . يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي .. [١١] فهو الندى الذي يحي الموتى فالموتى سينهضون والذين في القبور سيقومون .

أن كافة الأشياء ممكنة لدى الله وليس شيء يصعب عليه . فإن ذكرت السموات وأن قلت الأرض ، أن ذكرت لجة البحار وأن قلت الأعماق وآن ذكرت عاراً أخرى . . . فكلها في يده وكأنها كلا شيء !

ويقول اشعياء النبي « من كال بكفة المياه وقاس السموات بالشبر

(١٠) قال ابنا ايليا « أي م الخطية حيث تكون التوبه » بستان الرهبان ص ٢٩٩ .

(١١) (تث ٣٢ : ١ — ٢)

وكال بالكيل تراب الأرض ،ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان ، من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه »[١٢] .

ويقول حبقوق النبى « سمعت فارتعدت احشائى . من الصوت رجفت شفتاي . »[١٣]

ويقول بولس الرسول سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت . حينئذ تصير الكلمة ابتلع الموت إلى غلبة . أين شوكتك ياموت أين غلبتك ياهاوية[١٤] »

من أجل هذا لايبكى المسكين ولايستعظم الغنى ، ولايحزن الضعيف ، ولايتشامخ القوى ولايغتم العبد ، ولايفتخر السيد فاننا من الارض وفى التراب يسكن جسمنا إلى أن يجىء الرب الذى يحى أجسامنا المائته .

الصديقون فليفخروا بالرب ويسروا لأنهم مغبوطون كافة الذين

(١٢) (أشم ٤٠ : ١٢ — ١٣)
(١٣) (حب ٣ : ١٦)
(١٤) (ا كو ١٥ : ٥٢ — ٥٥)

يوجدون حينئذ أهلا لذلك الصوت المبارك ، تعالوا إلى يامباركى أبى رثو الملك المعد اـكم منذ انشاء العالم .(١)

فاصبرو الآن ياصانعى العدل متحملين الاتعاب من أجل ميراث الله فإن (١٥) تعب هذه الحياة الوقتية يمنحكم دالة جزيلة فى الدهر الآتى، وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم نياحاً وعزاء ، والبكاء الآن يسبب لكم فخراً لانه مغبوطون هم كافة الصابرين له ، فالابرار يسكنون صهيون ، الذين يخدمونى يبتهجون بالسرور ، أما الاشرار فيصيحون من أجل وجع قلوبهم ويولولون .. الذين يخدمونه يدعوهم باسم جديد وينسون جزنهم الاول : وستكون لهم سماء جديدة وأرضاً جديدة . ومالم يخط على قلبهم من السرور والابتهاج .

فإذا عرف أن لدى عملا حسناً أصرخ إليك أيها الرب الصالح والفادى قائلا : اغفر لى أنا الخاطى ، فإن ذلك العشار الذى يفوق حقارتى كان واقفاً على قدمية مطرقاً إلى اسفل ويقرع صدره متضرعاً . . . .

---

(١٥) (مت ٢٥ : ٣٤) .

(١٦) عن ميمر « ٣٩ » .

فأنا بما أنى مفرط فى الهفوات أنطرح على وجهى هاتفاً إليك أيها الممتحن والطاهر المرهوب «اللهم اغفر لى أنا الخاطىء» والغير مستحق لئلا تكون لى دينونة .

وإذ أستجرىء أن أسمى بلسانى النجس وشفتى الدنسة اسمك القدوس والفائق السبح إلى الدهور فلتصر لى الاستغاثة يارب باسمك لاستنارة وقداسة الجسد والروح .

البخور إذا ارتفع ملأ البيت نسيماً طيبا فكم أولى ذكرك يارب الذى هو أحلى من العسل والشهد الذى يملأ نفوس الذين يتوقون إليك بإيمان كل قداسة واستنارة .

الذى نزل من حضن الآب وصار لنا طريقـــاً للخلاص يعلمنا التوبة (١٧) بصوته الإلهى «ماجئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» وأيضا «لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» (١٨).

---

(١٧) عن ميمر ١٠ المخطوطة ٢٠٠ ميامر دير السريان ، بستان الروح حـ ١ ص ٥١ القس شنوده السريانى (نيافه الأنبا يؤنس حاليا)

(١٨) (مر ٢ : ١٧) .

فإن كنت أنا الذى أقول هذه الأقوال فلا تسمعنى إطلاقا ، وإن كان الرب نفسه يقولها فلم تتهاون بحياتك متوانيا عنها ؟! إن عرفت إن لذاتك جراحات من الأفكار والأفعال فلم تتوانى عن جراحاتك الخفية ؟ وممن تخاف ؟! أمن الطبيب إنه ليس قاسيا ، ولا عديم الرحمة والتحنن ، إنه لا يستعمل دواء غير مقبول وكاوياً لأنه يداوى بالنصح فقط . إن شئت أن تتقدم إليه فهو مملوء تحنناً جاء لأجلك من حضن الآب ، من أجلك تجسد لتتقدم إليه بلا خوف ، من أجلك تأنس ليشفى جراحاتك الخفية ، وبمحبة جزيلة يدعوك قائلا : أيها الخاطىء تقدم وابرأ بسهولة ، إطرح عنك ثقل الخطايا . قدم تضرعاً ضع على جراحاتك دموعا ! لان هذا الطبيب السماوي الصالح يشفى الجراحات بالدموع والتنهد اهل تعلم أيها الحبيب فى أية ساعة يأمر الطبيب السماوى فيغلق باب مداواته ؟ أطلب إليك أن تتقدم وتحرص أن تبرأ فإنه يشاء أن يفرح بتوبتك الموكب السماوى .

فى حال قولهم قد هلكت وما تستطيع أن تخلص البتة ، فلنقل لهم نحن (١٩) لنا إله متحنن طويل الاناة فلا نيأس من خلاصنا .

---

(١٩) عن ميمر «٤٢» قول ٩٠ — ٩٢ .

لان الذى قال : لاتصفح للقريب سبع مرات فقط بل سبعين مرة سبع مرات هو أولى بالاكثر أن يصفح الخطايا للمنتظرين خلاصه . فإن هم انهزموا من تلك الجهة يتبادرون من جهة أخرى قائلين لنا : إذ لكم إله متحنن وطويل الاناة وغافر الخطايا فلماذا لا تستمتعون أكثر بلذات العالم ثم تتوبون . فنقول إن الكتاب يحذرنا قائلا : إنها الساعة الاخيرة فإلى أى ساعة ننتظر إن أهملنا خلاصنا فى فعل الشر قدام إلهنا . قاتل الشياطين فتبيد القتال مثل إنسان جالسا تحت شجرة فإذا ماتجمعت عليه وحوش البرية يقفز إلى أعلى الشجرة فلا تضره ولتكن لك الشجرة هى مخافة الله فتكون النعمة توازرك فى سائر طرقك ، وتجعل أعداءك تحت موطىء قدميك .

هكذا يجب على المؤمنين أن يسلكوا فى هذا العمر . فمتى عرض لنا حزن أو ضيقة فلننتظر راحة من الله ومعونته توافينا لئلا فى كثرة الحزن واليأس فى الخلاص نصير موتى .. وكذلك إن صار لنا فرح فلننتظر الحزن لئلا بالفرح الكثير نتمادى النوح ... ولنأخذ مثالا الذين يسيرون فى البحر فإذا أدركتهم شدة الرياح والشتاء الشديد لاييأسون من خلاصهم . بل يقاومون الامواج منتظرين الصحو . وإذا كانوا فى الهدوء والسكون يتوقعون تدفق الامواج فمن هنا

يكونون فى يقظة كل حين لئلا تصير الرياح بغتة وتجدهم غير مستعدين فتنقلب السفينة بهم فى البحر .

هكذا نحن نحتاج أن نرصد الحالين كليهما لان المستعد إن وافاه أمر لا يتعجب مما كان ينتظره !

لا يمكنك أن تستمع الكلمات مخلصا، بينما أنت لا تعرف نفسك(٢٠) وإذا كنت تحفظ أحكامه بينما ذهنك بعيد عنه فمن الذى يعطيك مكافأتك؟ من الذى يدخر لك الجزاء؟ لقد اعتمدت باسمه إذاً إعترف باسمه بالاقانيم الآب والابن والروح القدس هذه الثلاثة أقانيم لتكن حصناً يحميك من التمزق والصداع ، لا ينتابك الشك فى الحق لئلا تهلك بسببه . لقد إعتمدت بالماء ولبست المسيح عندما دعى اسمه عليك ، صرت عرشا لله، وختمه على جبهتك . فاحذر لئلا تصير لآخر حتى لا يكون لك سيداً آخر . واحد هو الذى جبلنا برحمته ؛ واحد هو الذى افتدانا على الصليب ، إنه هو الذي يقود حياتنا ، وهو وحده له سلطان على ضعفنا ، وهو وحده يهبنا قيامته ، إنه يجازينا حسب أعمالنا

---

(٢٠) مترجم عن : The writings of Niciene & post Nicience Fathers vol. 13—page 330.

فطوبى لمن يعترف به ، ويسمع وصاياه ويحفظها . أنت أيها الانسان هو ابن الله الذى هو فوق الجميع لاحظ طرقك لئلا تغضب بأفعالك الآب الصالح الحنون .

ما أعظم نعمة الله ! مراحمه لا تقاس (٢١) ! طوبى للإنسان الميت الذى يعلن له الله مراحمه ، وويل للنفس التى ينكر عليها نعمته !

تهلل يا ابنى بالرجاء ، ازرع بذارا صالحة ولا تفشل (غل ٦: ٩) فإن الزارع يبذر على رجاء ، والتاجر يسافر على رجاء ، كذلك أنت يامن تحب الصلاح توقع المكافأة بالرجاء . لا تبدأ فى عمل ما بدون صلاة . واختم كل أعمالك بعلامة الصليب الحى ، لا تغادر بيتك قبل أن ترسم علامة الصليب ، أيضاً فى الطعام أو الشراب ، فى النوم أو اليقظة ، فى البيت أو فى الطريق ، كذلك فى وقت الراحة لاتهمل هذه العلامة لانه لايوجد حارساً لك مثلها ، ليكون الصليب سورا لك فى مقدمة كل أعمالك ، علمها لابنائك وليتقنوها باهتمام .

إلتجىء إلى الله فهو ملجأ لك ، ولا يستحيل أو يتغير ، اضبط

---

(٢١) مترجم عن المرجع السابق — «page «335

الضحك بالآلام واضبط محبة اللهو بالحزن . الرجاء هو عزاء الآلام ، والصبر هو عزاء الحزن ، آمن وصدق أيها العاقل لان الله هو الذى يقودك . وإذا كانت عنايته لا تتخل عنك فلا يوجد شىء يمكنه أن يضرك وإذا كان خلاص الانسان يمكن أن يتم على يد إنسان ونجاة الحقير تتم على يد العظيم فكم بالاولى الالتجاء إلى الله الذى يحفظ المؤمن ، لاتخف بسبب الاعداء الذين يهاجمونك بالعنف لان عين الله الساهرة سوف تحفظ روحك وتتحول الامور الضارة لصالحك ، لن يرغمك أحد على طريق إلا إذا كان بحريتك ، لايقع أحد فى تجربة تفوق حدود طاقته، لاشر فى التأديب إذا كان هدفه الحرية، فالاحداث لاتناقض الحرية ، ولكن اتجاهها يتغير لصالح المؤمن .

صلاة للقديس [٢٢]

أيها المخلص أعطنى شوقاً إلى خلاصك يارب فانى مثل أرض ظامئة ومنتظرة المطر لأصنع قبل الموت ثمراً لئلا أخزى يوم المجازاة .

أرحمنا كلنا أنت أيها الصالح ، نشكرك لصلاحك لأننا كلنا غير مستحقين فأهلنا أن نخدم اسمك القدوس وأن نبسط أيدينا كلنا اليك يا أبا الكل ونجنا من كل فعل شيطانى .

امنحنا أن نوجد كأرض جيدة وصالحة لكيما إذا قبلنا بذارك نثمر مائة وستين وثلاثين ، أعطنا يارب أن نتجر بالفضة التى أعطيتنا إياها ، لكيما نقرب لك ثمر العدل فنؤهل لميراث العشر مدن . . .

أمنحنا يارب أن نسهر ونستيقظ لاستقبالك منطقين أذهاننا ماسكين مصابيح أنفسنا العقلية متقدة ، منتظرين إياك ياإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . أهلنا يارب الاختطاف مع الصديقين حيث يستقبلونك ياسيد الكل فى السحب . . لئلا نوجد فى تلك الدينونة المرة . . . بدد يارب قبل الوفاة وسق خطايانا لئلا تجعل لنا عائقاً فى تلك الساعة . وتقودنا إلى النار التى لاتطفأ .

---

(٢٢) عن ميمر « ٣٩ »

نعمتك يارب فلتصر لنا قوة ولتأخذنا فى السحب مع الصديقين إلى لقائك يا ملك الكل ، ليستقبلنا الملائكة القديسون بفرح وبوجه مستبشر ونسجد كما يجب أمام عرش مجدك ونعاين المجد الذى لا يوصف . . . ولنهتف : المجد لمن أعطى المائتين عدم الموت ، المجد لمن نجانا من فم الأسد ، والعدو المفسد ، وأعدنا لملكه السمائى حيث كافة الخيرات والنور الذى لا يترجم الذى لا يعقبه ليل ، حيث السرور الذى لا يشوبه حزن ولا ألم لأنه بالحقيقة يهرب الوجع والغم والتنهد لوقته ونكون مع الرب دائماً . هذه هى أصوات الصديقين والقديسين والنساك المختارين جماعة الذين بتوبتهم أرضوا الإله الرحوم عند مجيئه .

يا أحبائى فلنتيقن ولنصغ إلى ذاتنا لكى نسكن مع الصديقين ويفرح قلبنا ولا ينزع أحد سرورنا مسبحين ومباركين وساجدين للثالوث الأقدس المساوى فى جوهره إلى أبد الدهور آمين ؟



الفصل السابع

توبة المرأة الخاطئة

(لو ٧ : ٣٦ — ٥٠)

« قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً »

(لو ٧ : ٤٧)

اسمعوا وتعزوا أيها الأحباء عندما ترون رحمة الله للمرأة[١] الخاطئة إذ غفر لها خطاياها ، نعم لقد وقف إلى جوارها عندما كانت هدفاً للانتقاد .. ، بالطين فتح عيني الأعمى حتى نظرت عيناه النور (يو ٩) ، وأعطى الشفاء للمفلوج فقام ومشى وحمل فراشه (مت ٩ : ٢) أما نحن فقد أعطانا اللآلىء أى جسده ودمه الأقدسين . لقد أحضر أدويته خفية ومعها يعطى الشفاء علانية وكان يتجول فى أرض اليهودية كالطبيب يحمل أدويته معه ، دعاه سمعان إلى وليمة لكى يأكل خبزاً فى بيته (لو ٧) فسرت المرأة الخاطئة عندما سمعت أنه كان جالساً يأكل فى بيت سمعان ، وتجمعت أفكارها كالبحر وهاجت مشاعر المحبة فى قلبها كالأمواج . لقد رأت بحر النعمة وكيف انحصر فى مكان واحد وقررت أن تذهب وتغرق كل شرورها فى أمواجه !

لقد قيدت قلبها لأنه أخطأ ، قيدته بسلاسل ودموع الألم ، وبدأت تبكى فى داخلها : ماذا استفدت من الزنا وماذا أفادتنى النجاسة ، لقد أفسدت أصحاب العفة بلا خجل ، أفسدت اليتيم ، وبلا خوف سلبت التاجر تجارته وشهواتى لم تشبع كنت كالقوس فى الحرب وقتلت أبراراً

---

(١) مترجمة عن The Writing of Niciene & Post Niciene fathers Vol 13 Page 336 — 341

وأشراراً ، كنت كعاصفة فى البحر وأغرقت سفن الكثيرين . لماذا لم اكسب رجلا واحداً ربما استطاع أن يقومنى ويخلصنى من الدنس . رجلا واحداً هو من الله أما الكثيرون فمن الشيطان !

رددت هذه الأقوال فى داخلها أولا ثم بدأت تنفذها علانية فاغتسلت وأزالت من عينيها الأصباغ التى أعمتها ، وأنهمرت الدموع فوق ألوان عينيها ، خلعت من يديها زينة شبابها ، ونزعت عن جسدها ثياب الخطيئة ووضعت فى نفسها أن ترتدى رداء المصالحة . خرجت وألقت عن نفسها حذاء النجاسة ووجهت خطواتها لتسير فى طريق الفسر السماوى ، ووضعت ذهبها فى راحة يدها ورفعته فى وجه السماء وبدأت تبكى فى الخفاء لمن يسمع جهاراً ! هذا يارب ماربحته من شرورى وبه سوف اشترى خلاص نفسى ، ماجمعته من الأيتام سوف أكسب به رب الأيتام ! .

كانت تلهج بهذه الأقوال ثم بدأت العمل جهراً . حملت الذهب فى كفها وحملت الصندوق الأبنوس فى يديها ثم ذهبت مسرعة فى حزن إلى بائع العطور . رآها التاجر فتعجب ثم بدأ يسائلها قائلا أول مابدأ حديثه : أما يكفيكى أيتها الزانية أنك أفسدت مدينتنا ؟ ماذا تقصدين بهذا الشكل الجديد الذى تظهرين به لعشاقك . لقد تركت أسلوب

الاغراء ولبست زى الانضاع ! حتى الآن كلما كنت تحضرين إلى
كان مظهرك مختلفاً تماماً عن مظهر اليوم . كنت تلبسين أفخر الثياب
ولا تحضرين إلا القليل من الذهب ، كنت تطلبين أفخر الأطياب حتى
تجعلى بجاستك جذابة للآخرين ، ولكن ماذا حدث اليوم لأن رداءك
بسيط وأحضرت معك ذهباً كثيراً . أنا لست أفهم سر هذا التغيير ؟!
ولماذا هذا الشكل الجديد فاما أن ترتدى من الملابس مايتفق مع قدرتك
وأما أن تشترى من العطور ما يتناسب مع ثيابك لأن هذا العطر
لايناسب ولايتفق مع هذا الزى هل يمكن أن يكون أحد التجار
لاقاك وأحضر لك ثروة عظيمة ثم وجدت أنه لايحب فيك زى الدنس ،
ومن أجل هذا تركت طريقك الشرير ولبست رداء الوداعة ، وهكذا
بوسائلك المختلفة تستولى على ثروة عظيمة أما إذا كان يحب هذا
الأسلوب لأنه رجل عفيف إذاً فالويل له ! لقد سقط فى هوة لا قرار
لها ، سقط فى هوة تبتلع كل ما عنده من تجارة ولكن أقدم لك هذه
النصيحة كرجل لايسعى إلا لمصلحتك . يحسن بك أن تصرفى كل
عشاقك الذين لم يقدموا لك معونة منذ أيام صباك ، وبالتالى تأخذين
زوجاً واحداً يقوم اعوجاجك .

قال تاجر العطور أقواله هذه بحكمة للمرأة الزانية ، وبعد أن

انتهى من حديثه أجابت المرأة الخاطئة وقالت : لاتعطلنى يا هذا ولا توقفنى بسبب تساؤلاتك لقد طلبت منك عطراً طيباً ليس بالمجان ، ولكننى سأدفع قيمته بلا تذمر فاليك هذا الذهب وخذ منه ما شئت وأعطنى الطيب الثمين . خذ هذا الفانىوأعطنى مايبقىويدوموسأذهب إليه إلى ذلك الحى إلى الأبد ! لكى اشترى منه مالا يفنى ! .

أما من كنت تتكلم عنه (التاجر) فقد قابلنى اليوم رجلا عنده ثراء واسع لقد سلبنى وأنا أيضاً سلبته ، سلبنى كل تعدياتى وخطاياى أما أنا فقد سلبت غناه ، أما ما قلته عن الزوج فقد ربحت لى زوجاً فى السماء حيث يدوم ملكه إلى الأبد ولاينحل ملكوته ، وهكذا أخذت الطيب ثم مضت .

ومضت سريعاً ورآها الشيطان فغضب وامتلأ عقله بالحزن . ابتهج مرة ولكنه عاد فحزن عندما أخذتالطيب، سر فى عقله الباطن ولكن إذ كان رداءها بسيطاً كان يخشى من تصرفاتها فرافقها وتابعها كما يقتفى اللص أثر التاجر ، أنصت إلى همسات شفتيها لكى يسمع صوت كلماتها . كان يرقب عينيها عن قرب ليرى فى أى اتجاه كانت نظراتها وبينما هو فى الطريق لاحظ اتجاه خطواتها وأراد أن يعلم إلى أين المسير أنه الشيطان ملىء بالدهاء والمكر . فمن كلماتنا يعرف هدفنا ولهذا

أوصانا الله ألا نرفع أصواتنا دون قلوبنا عند الصلاة حتى لا يسمع الشيطان هذه الكلمات فيقترب منا ويحاربنا كخصم ، ولهذا عندما رأى الشيطان أنه لا يستطيع أن يغير رأيها ظهر فى شكل رجل وجمع حوله جماعة من الشبان يشبهون عشاقها القدامى ثم وجه اليها الحديث : أيتها المرأة وحياتك قولى لى إلى أين أنت ذاهبة ؟ . وما معنى تعجلك لأنك تسرعين خطاك أكثر من الأيام الأخرى ، ما معنى وداعتك لأنك وديعة كالأمة ؟ وبدلا من الثياب المصنوعة من الكتان النقى ما بالك تلبسين ثياباً خشنة ، وبدلا من زينة الذهب والفضة فانك لا تلبسين حتى خاتماً فى أصبعك ، وبدلا من الحذاء الفاخر فى قدميك ها أنت تسيرين حافية القدمين . أكشفى لى عن سر أفعالك لأنى لا استطيع أن أفهم هذا التغيير . هل مات أحد أحبائك وأنت فى طريقك لكى تدفنيه سنذهب معك للجنازة وسوف نشاطرك احزانك .

وبعد أن انتهى من حديثه أجابت المرأة الخاطئة وقالت حسناً قلت إنى سأذهب لادفن ميتاً ، أدفن واحداً قد مات بالنسبة لى ، خطية أفكارى قد ماتت وهاءنذا ذاهبة لكى أدفنها ، وأجاب الشيطان على قولها بقوله : يامرأة سأقول لك إلى أين أنت ذاهبة ، فأنا أول عشاقك ولن اكون على غرارك ولهذا أضع يدى عليك وأعطيك من جديد ذهبا أكثر مما سبق .

وعادت المرأة تقول لقد تعبت منك يارجل ولم تعد تربطنى بك رابطة المحبة لقد ربحت لى زوجاً فى السماء ، أنه الله فوق الكل وسلطانه يدوم إلى الأبد ، وملكه لا ينتهى ، انى أعيد عليك هذه الكلمات وأقولها ثانية ولا أكذب كنت قبلا خادمة للشيطان منذ نعومة أظافرى حتى اليوم ، كنت قنطرة يطأها بقدميه ، وحطمت الكثيرين ، طلاء العيون أعمى عينى وكنت أنا عمياء وسط الكثيرين ممن أعميتهم ، كنت عمياء فلم أر أن هناك الواحد الذى يعطى البصر للعميان ؛ هانذا فى طريقى لكى أنال النور لعينى وبهذا النور أضىء لكثيرين . كنت مكبلة بالقيود وما كنت أعلم أن هناك ذلك الواحد الذى يحطم الأوثان ها نذا فى طريقى لأحطم أوثانى وبالتالى أقضى على حماقات الكثيرين كنت جريحة ولم اكن أعلم ان هناك ذلك الواحد الذى يضمد الجروح وها نذا فى طريقى لكى أضمد هذه الجروح ! هكذا تحدثت الزانية بحكمة إلى الشيطان فأن وتوجع وامتلأ قلبه بالحزن ، وبكى وصرخ من أعماقه قائلا لقد غلبتينى أيتها المرأة ولا أعرف ماذا سأصنع ؟ .

ولما ادرك الشيطان أنه عاجز عن تغيير ذهنها أخذ يندب حظه العاثر هكذا قضى على كبريائى وفخر أيامى. كيف يمكننى أن أضع لها معثرة لانها تصعد فى طريق مرتفع ؟ كيف أصيبها بسهامى بينما حصنها

لا يتزعزع ؟ إذاً فلأذهب لها فى حضرة يسوع انهاعلى وشك الدخول وسوف أحدثه شاكياً هذه المرأة انها زانية فربما يرفضها ولا يستقبلها ، وسأقول له أيضاً هذه المرأة التى فى حضرتك هى امرأة نجسة ، وكم من الرجال أسرتهم بشرورها ، انها فاسدة منذ شبابها . أما أنت يارب فبار كل الناس يتجمعون لكى يعاينوك فاذا رأت البشرية انك تتحدث إلى زانية فسوف يهرب الجميع من حضرتك ولن يجيئك أحد منهم .

كانت هذه الخواطر التى دارت فى رأسه . ثم تغير تيار الفكر وقال كيف أدخل فى حضرة يسوع لأن الخفيات ظاهرة أمام عينيه ؟ أنه يعرف من أنا ويعرف أن أهدافى ليست صالحة ، وإذا وبخنى فقدقضى على ، وضاعت كل حيلى . سأذهب إلى بيت سمعان لأن الخفيات ليست معلومة لديه وسأضع أفكارى فى قلبه وقد أصطاده بهذه الحيلة فسوف أقول له : ياسمعان قل لى هل هذا الرجل الذى يقيم فى بيتك رجل بار أم صديق الأشرار ؟ ! أنا رجل ثرى وعندى من الممتلكات الكثير وأريد أن أدعوه حتى يأتى ويبارك مقتنياتى .

وأجاب سمعان ورد على الشيطان بهذه الكلمات من اليوم الذى رأيته فيه لأول مرة لم أرفيه شراًبل رأيت الهدوء والسلام، والاتضاع والكياسة . يشفى الأمراض بلا جزاء ويعالج المصابين مجاناً ، يقف

بجوار القبر ويدعو الموتى فيقومون . دعا يايرس (مر ٥ : ٢٢) ليقيم ابنته ويردها إلى الحياة مؤمناً أنه يستطيع ذلك ، وبينما كان معه فى الطريق شفى المرأة المريضة التى لمست طرف ردائه ، وللوقت فارقها الألم القاس والمر الذى كانت تعانى منه . ذهب إلى البرية ورأى الجياع كيف يخورون من المجاعة (مت ١٤ : ١٥) وجعلهم يجلسون على الحشائش وأطعمهم برحمته . فى السفينة كان نائماً (مت ١٤ : ٢٤) وهاجت أمواج البحر على التلاميذ فنهض وانتهر الرياح وكان هدوء عظيم . الأرملة التى كان تتبع ابنها الوحيد فى الطريق إلى القبر (لو ٧ : ١١) عزاها ورد اليها ابنها ، وملأ قلبها بالبهجة والفرح .

رجل أعمى كان صوته كفيلا بأن يجلب له الصفاء (مت ١٢ : ٢٢)

طهر البرصى بكلمته ورد القوة إلى أطراف المفلوج (مت ٩ : ٢) الرجل الأعمى المتعب المتضايق أعطاه البصر فرأى النور (يو ٩ : ١) كذا الاثنين اللذين سعيا اليه وطلبا منه فتح أعينهما فى الحال (مت ٢٠ : ٣٠) وهكذا سمعت أنا عن شهرته العريضة ودعوته لكى يبارك مقتنياتى ويبارك قطعانى .

أجابه الشيطان قائلا : لا تمدح إنساناً فى بدايته بل تمهل حتى ترى

نهايته ، هذا الرجل عاقل ، لاتسر روحه بالخمر ، إذا خرج من بيتك لا يمكن أن يتحدث إلى زانية . إذاً فهو رجل بار وليس صديقاً للاشرار .

هذه الأفكار قدمها الشيطان بمكر إلى سمعان ثم وقف بعيداً يرقب ما يحدث .

وأتت المرأة الخاطئة مثقلة بتعدياتها وتعلقت بالباب ، وضمت يديها فى ضراعة وتحدثت فى توسل : أيها الابن المبارك الذى نزل إلى الأرض من أجل خلاص الانسان ، لاتغلق بابك فى وجهى لأنك دعوتنى ، وها نذا قد أتيت . أنا أعلم انك لم ترفضنى ، ربى أفتح لى باب رحمتك حتى أدخل ، ولكى أجد ملجأ فيك من الشرير وكل قواته ! كنت عصفوراً وكان الصقر يطاردنى ولكنى هربت ووجدت لى مأوى فى شبكتك . كنت عجلة صغيرة واثقل النير ظهرى وسوف ألقى بهمومى إليك . دعنى أضع على كتفى نيرك وأسير مع قطيعك .

كانت الزانية تردد هذه الكلمات وهى باكية عند الباب عندما نظر صاحب الدار اليها ورآها تغيرت . . بدأ يوجه إليها الخطاب فاستهل حديثه قائلا اذهبى بعيداً أيتها الزانية لأن صاحب هذا البيت رجل بار

وكل رفقائه بلا لوم ألم يكفيك أيتها الزانية ما أشعتية من فساد فى المدينة كلها ؟ لقد نجست الأبرياء الأطهار بلا خجل ، سلبتى الأيتام بلا حياء ، وقضيت على ثروات التجار ولم تخجلى . فمن هذا الرجل لن ينال قلبك شيئاً ومهما ألقيت شباكك فلن تحصلى على شىء لأن هذا الرجل بار حقاً وكل الذين يحيطون به بلا لوم .

ولم يكد سمعان يتوقف حتى أجابته المرأة : لاشك أنك حارس الباب وأنت تعرف الكثير من الأسرار ، سوف أعرض أمرى فى الوليمة دون أن تلقى عليك تبعة ذلك وإذ اسمح لى أن أدخل سوف يأمر فأدخل .

وجرى سمعان وأغلق الباب ثم اقترب ووقف من بعيد وتباطأ ولم يعرض الموضوع فى الوليمة ، ولكن العارف بالخفايا أومأ إلى سمعان قائلا : تعال هنا يا سمعان هل هنا من يقف بالباب ؟ أيا كان هذا الانسان افتح له ودعه يدخل ، دعه يأخذ ما يحتاج إليه ثم يمضى . إن كان جائعاً وجوعه للخبز فى بيتك مائدة الحياة ، وإن كان عطشاناً وعطشه إلى الماء فالينبوع المبارك فى بيتك ، وان كان مريضاً يطلب الشفاء فهوذا الطبيب الحقيقى . ترفق بالخطاة واسمح لهم أن يأتوا إلى لأنى من أجلهم وضعت ذاتى . لن أصعد إلى السماء المكان الذى

أتيت منه حتى أحمل الخروف الذى ضل من بيت الآب وأرفعه على كتفى ، انقله عالياً إلى السماء !

فأجاب سمعان وقال ليسوع : ربى هذه المرأة التى تقف بالباب زانية نجسة ، وليست حرة انها فاسدة منذ طفولتها وأنت يارب رجل بار والكل مشتاق أن يراك فاذا رأوك تتحدث إلى زانية فسوف يتبدد الناس من حواليك ولن يرحب أحد منهم .

أجاب يسوع : مهما كان هذا الإنسان افتح لهودعه يدخل ولالوم عليك ، ومهما كثرت خطاياه آمرك أن تقبله دون لوم أو توبيخ .

واقترب سمعان من الباب ، وفتحه وهو يقول : تعالى أدخلى ، وافعلى ما تريدين معه ، ذاك الذى يماثلك . تقدمت المرأة الخاطئة مثقلة بالخطايا , ووقفت عند قدميه ، وأمسكت بذراعيها فى ضراعة وهى تقول : صارت عينى مجارى للدموع التى لا تكف عن رى الحقول، واليوم قدمى لذاك الذى يفتش عن الخطاة ، هذا الشعر الكثيف فى خصلاته أرجو ألا يضايقك حين يمسح جسدك المقدس ، هذا الفم الذى قبل الزناة لاتردده عن تقبيل الجسد الذى يرفع الخطايا والآثام .

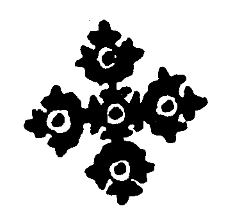
قالت كلماتها للرب يسوع بينما يتهدج صوتها بالبكاء ، وتخنقه

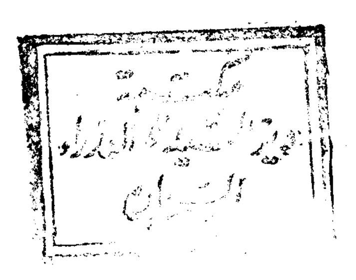
العبرات الغزيرة ، بينما وقف سمعان من على بعد يتأمل ويرقب ماسيفعله بها ، لكن الذى يعرف مايدور فى السرائر أومأ إلى سمعان وقال له : اسمع ما أقوله لك ياسمعان فيم تفكر بالنسبة لهذه الزانية ، عقلك يتصور . وروحك تخالجها الأفكار : لقد لقيت هذا الرجل بالبارو لكن هاهى الزانية تقبله ، لقد دعوته لكى يبارك ـ مقتنياتى ولكن هاهى الزانية تعانقه . . .

ياسمعان كان لدائن مدينان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون ولما رأى الدائن أن احداً منهما لايستطيع أن يوفى ما عليه سامحهما كليهما وتنازل بماله . فمن منهما يقدم له شكراً أكثر ؟ هل الذى سامحه بالخمسمائة أم الذى سامحه بالخمسون ؟ فأجاب سمعان وقال الذى سامحه بالأكثر . فأجابه يسوع قائلا أنت هو المدين بالخمسين وهذه المرأة مدينة بالخمسمائة لقد دخلت بيتك ياسمعان وماء لرجلى لم تعط ولكن هذه المرأة التى تقول عنها أنها زانية وأنها منذ طفولتها ساقطة ودنسة قد غسلت قدمى بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها . فهل يليق بى أن أطردها ياسمعان دون أن تنال الغفران ؟ . الحق الحق أقول لك أن اسمها سيكتب فى الانجيل .. أذهبي يا امرأة مغفورة لك خطاياك ، وسترت كل آثامك الآن وإلى نهاية العالم .

نسأل الله أن يحسبنا مستحقين لسماع هذه الكلمة : تعالوا أدخلوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكل الذين يعملون إرادتى ويحفظوا وصاياى ، وليرحونا فى كل زمان

الذى له المجد الدائم إلى الأبد آمين ؟





صلاة القديس[١]

لك المجد أيها المحتمل ، لك السبح أيها المتمهل ، لك المجد أيها[١] المتأنى على الناس ، لك السبح أيها المتعطف على البشر ، لك المجد يامن نزلت من السماء لتخلص نفوسنا لك السبح أيها الصالح ، لك المجد أيها المحسن إلى النفوس ، لك السبح أيها المغذى جميع الأمم وكل الطبيعة البشرية بدون عناء ، لك المجد يامن تقيت كافة الطيور والأسماك والوحوش والدواب وكل البرية مثل عصفور . صغير لك السبح أيها المشرق شمسه على الاخيار والاشرار والممطر خيراته على الصالحين والطالحين لأن قدرتك عظيمة ورأفتك سابغة على جميع الممالك . أيها السيد اسجد لك وأباركك وأعترف لك وأسبحك أيها القدوس وأمجدك وأحمدك أيها الرحوم لأنك أنت هو الوحيد سيد الكل البار وحدك ، من أجلى أنا الخاطىء أسلمت ذاتك إلى الموت لتعتق نفسى من قيود الخطية فبماذا أجازيك أيها السيد إلا بشكرى إياك . آمين

(١) عن ميمر « ٢ » المخطوطة ٢٠٠ ميامر . ديرالسريان وكتاب أمام عرش النعمة ص ٧٣

المصادر والمراجع

— الكتاب المقدس ، وقاموس الكتاب المقدس .

— المخطوطة — ٢٠٠ ميامر — دير السريان

— « ٣١٨ « « «

— « ١٨١ نسكيات « «

— كتاب بستان الرهبان

— الحب الرعوى — للقس تادرس يعقوب

— مجلة الكرمة للاستاذ حبيب جرجس

— بستان الروح جـ ١ لنيافة الأنبا يؤنس

— حياة الصلاة الأرثوذكسية — دير السريان

— السبع طلبات لمشاهير الأباء — دير السريان

— أمام عرش النعمة (مجموعة صلوات الآباء)

— اللآلى المنثورة فى الأقوال المأثورة لمار اغناطيوس يعقوب الثالث

— أعجوبة الزمان أو مارافرام بنى السريان لمار اغناطيوس يعقوب الثالث .

— دموع التوبة للأستاذ يوسف حبيب

The Writings of Niciere&Post Nicier Fatliers vol 13 .—

الفهرس

سلسلة من أقوال الآباء

<u>صدر منها حتى الآن:</u>

١ — ميامر السيدة العذراء مريم لمجموعة من الآباء القديسين. م ١٥

٢ — التوبة للقديس مار أفرآم السرياني. م ٢٢

<u>تحت الطبع :</u>

حياة مار أفرآم السرياني

تطلب من التربية الكنسية مكتبة السيدة العذراء بالزيتون

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٨٥٩ / ١٩٧٥